

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الزعماء

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

السنة الثالثة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤ - ٣١ مايو سنة ١٩٤٥ »

العدد ٦٢٠

وزرائنا والأدب

من القضايا التي صدقت في الماضي والحاضر ، وفي الشرق والقرب ، أن الأدب والفن لا يزدهران وينتشران إلا في ظلال ملك أو وزير أو أمير .

وصدق هذه القضية جاءها من أدب الأدب العالي والفن الرفيع لم يكونا من مطالب العامة في أي عهد ؛ إنما يطلبهما عشاق المجد والحمد ممن يلتقوا الناية القصوى من بسطة الحياة وسطوة الملك فتشوقت نفوسهم وامتدت عيونهم إلى أبعد من ذلك . يطلبهما الملوك وأشباههم من أولى الصدارة والإمارة لأنهما العطر الباقي في يد ابن آدم من الجنة ؛ فمن لم يطلبهما لمتعة النفس وسعادة الروح ، طلبهما لزينة الملك وجمال الأحدوتة . فالأدب والفن بمعناها الأعلى أرسقراطيان لا يرفعهما إلا الرفيع ، ولا يقدرهما إلا القادر . فإذا نزل إلى الشعب ابتذلاً فلا ينفعانه ولا يرفعانه . إنما الأدب والفن معنيان من معاني البهاء يحملك النزوع إليهما على أن تطمح ببصرك إلى فوق ؛ ويدفعك الطمع فيهما إلى أن تطوح بنفسك إلى الآمام . ومن هنا كان الرجل إذا سمع ملكاً بالعلم أو بالملك ، ورقت مشاعره بالتربة أو بالمدنية ، وجد نفسه في أفق الفن محمواً برجاله ، مغموراً بجباله . فإذا كان صاحب السلطان من ذوي

القرائح الفنانة كان جدواه على الأدب من جهتين : جهة الإقتداء به في الإقبال عليه ، وجهة الكفاة منه على الإحسان فيه . والناس منذ كانوا على دين الملوك وهوى القادة . قال أسامة بن مقل : « كان السفاح راغباً في الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويشبههم عليها ، فحفظت ألف رسالة وألف خطبة طلباً للحظوة عنده فطلبها . وكان النصور بعده معنياً بالأسماء والأخبار وأيام العرب يدني أهلها ويحزيهم عليها ، فلم يبق شيء من الأسماء والأخبار إلا حفظته طلباً للقربة منه فظفرت بها . وكان موسى مغرمًا بالشعر يستخلص أهله ، فارتكت بيتاً نادراً ، ولاشعراً فاحراً ، ولا نسيماً سائراً ، إلا حفظته ؛ وأعاني على ذلك طلب الهمة في علو الحال . ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلم الآداب من رغبة الملوك في أهلها وصلاتهم عليها . ثم زهد هرون في هذه الأربعة فأنسيها حتى كأنى لم أحفظ منها شيئاً » . وكل أدب أوفنان أو عالم هو في ذلك أسامة بن مقل . وما النهضة الأدبية والعلمية في الأمم إلا وثبات للمجد الروحي في نفوس بعض الملوك . وفي تاريخنا الأدبي نستطيع أن نؤرخ النهضة فيه بتاريخ معاوية وعبد الملك في دمشق ، والرشد وابنه المأمون في بغداد ، وعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم في قرطبة ، والعزيز بالله وابنه الحاكم في القاهرة . وإن في قصور بني بويه في الرماقة ، وبني حمدان في حلب ، وبني عبيد في إشبيلية ، لنازل للروحي تنباً بالقريض فيها من تنبأ ، وبُعث برسالة العلم منها من أرسل . وإنك لتذكر الوزراء الأدباء من أمثال ابن العميد ، والصاحب بن عباد ،

بهم ورعايته لأدبهم أن جعل لهم رئيساً رجعون إليه ، ونظاماً يرتبون عليه ، وسجلاً يُحصون فيه .

ولو ذهبت أستقصى مجالس الأدب والعلم في عواصم العراق والشام ومصر والأندلس لاسترخى في يدى عنان القلم ، وتشتت في ذهني سياق الموضوع .

تواردت على خاطري هذه المآثر العربية التاريخية وأنا أتم لأول مرة بالحديث إلى صاحب المعالي إبراهيم دسوقي بأبغلة باشا وزير المواصلات ؛ وكنت قبل هذا اللقاء الأول قد عرفته بالسماع ، والسماع يسري خلقه وسمو أدبه مستفيض ، فلم يمر ذكره على لسان أديب إلا روى عن مجالسه ، ونوه بمواهبه ، وحدثت عن أياديه . وكنت أعلم أنه استن لنفسه سنة ووزراء بني بويه ، فأخذ له بطاقة من صفوة الشعراء الشباب يأنس إليهم في داره ، ويُشبل عليهم بجاهه ، ويستعين بهم في عمله ، ويجزل لهم من فضله . وهم يملكون أن الأدب وحده هو الذي أحظاهم عنده ، فلا يشأون يتنافسون في تحصيله ويتفاضلون في تجويده . فتولأ أن لهذا الوزير الشاعر طبعاً أصيلاً في الأدب استفاده من سائىء فطرته وتقاليده أسرته ، لما انبثق في حياته العاملة ذلك النور السماوى الذى استحال أدبا في نفسه يتخلقه ويمثل به ، وأدبا على لسانه بقوله ويفتن فيه ، وأدبا على سمعه بعيه ويشجع عليه

وللقطب إبراهيم الدسوقي باشا نظراء في الوزراء لم يجئ الدهر بأمثالهم على دولة من دول العرب في وقت واحد منذ دالت الهاشمية في العراق ، والأُموية في الأندلس ؛ نذكر منهم الباشوات أصحاب المعالي : لطفى السيد ، ومحمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق ، ونجيب الهلالى ، ومكرم عبيد ، وطه السباعى ، وحفنى محمود . ولكل وزير من هؤلاء الوزراء الأدياء طفاوة من ناشئة الأدب ومنشئيه ، تسع أو تضيق على حسب ما يبذل لها من نفسه ، وبفيض عليها من نشاطه . وهم عسيون إذا هم استجابوا للملكة الأدب فيهم ، وواجب العربية والعروبة عليهم ، أن ينفخوا من رُوحهم وروحهم في جذوة هذه النهضة الأدبية حتى تستمر وتنتشر فتصير بقوتها الجامد ، وتنمى بحرارتها الخامد ، وتثير بأشعتها الطريق .

احمد حسن زيات

ويعقوب بن كلس ، ولسان الدين بن الخطيب ، والقاضى الفاضل ، فتذكر بجالي بالأدب ناضرة ، ومتانى بالعلم عامرة ، ومجالس كانوا فيها شمساً تدور من حولها توابها تستمد الحرارة وتمد ، وتقتبس النور وتقبس .

وكان للمجالس الأدبية والعلمية في عصرنا النهي نفحات من الإلهام أيقظت روائد البقيرة في ألوف من الأذهان الخصبية والقرائح الموهوبة فارداد بهم الأدب والعلم ازدهاراً وإشكافاً وكثرة .

كان للرشد مجلس للأدب بلغ لألاؤه أطراف الإمبراطورية الإسلامية فمشا على ضوئه صاغة القريض ورواته حتى ضاقت عليهم بندا بما رحبت ، فاضطر يحيى بن خالد إلى امتحانهم في الشعر وترتيبهم في الجوائر ، ليخفف من زحمة الأدباء عن عاصمة الدنيا في ذلك الحين ، وقد عهد بذلك الامتحان إلى شاعره أبان اللاحق فقام به

وكان للمأمون مجلس للعلم يعقده في دار الخلافة أيام الثلاثاوات من كل شهر ؛ فإذا أقبل الحكماء والفقهاء مدت النواثد وقيل لهم : « أصيبوا من الطعام والشراب ثم جددوا الوضوء . ومن كان خُفً ضيقاً فليترعه ، ومن كانت قلنسوته ثقيلة فليضعها . فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فتبخروا ، ثم خرجوا فدخلوا على المأمون فيدينهم منه خير إثناء ، وينظرهم أحسن منظر ، حتى تزل الشمس فتتصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون .

وكان للصاحب بن عباد مجلس للشعر لا ينشأ إلا من حفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، ومع ذلك الشرط القاسى كان يجتمع على سباطه كل يوم ألف من رجالات الأدب والعلم والسخام . وبني داراً فاجتمع له من قصائد التهنئة عليها ديوان شعر ضخيم . ووفق برُذون لأديب من أدباء مجلسه فرثاه شعراء الخفزة بخمسين قصيدة . وقد ذكرتُ بذلك (مكسوبي) حصان الدكتور محبوب ثابت ، فإنه حين تقى من الهزال لم يظفر من شعراء مصر على كثرة ما ركبه بالزحاح والهزل إلا بقصيدة واحدة لشوقي .

وكان للمعتضد عباد دار خامسة للشعراء يتزلونها على الرحب والسعة ؛ فإذا جاء يوم الشعر وهو يوم الإثنين من كل أسبوع دخلوا عليه فلا يقابل غيرهم ولا يسمع إلا شعرهم . ولقد بلغ من عنايته

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد أسحاق النشاشيبي

- ٢ -

* في ج ٥ ص ٢٣ أما إني لا أرضى من كرمه العَدَّ ، أن
تُجَرَّ أولياؤه على شرك الردِّ

قلت : القول من رسالة لأحمد بن محمد الصخرى . وقد ضبطت
(العَدَّ) بفتح العين والدال ، وإنما هي (العَدَّ) بكسر العين وبكسر
الدال صفة لكرمه . والعِدَّ في الأصل « الماء الذي الدائم الذي
له مادة لا تنقطع كماء العين » ، كما في التاج . وعند الكثرة في
الشيء ، والعَدَّ القديم من الركاب . وفي الأساس : ومن المستعار :
حسب عِدَّ ، قال الخطيئة :

أنت آل شماس بن لأى وإنما أنا هم بها الألام والحسب العَدَّ
* في ج ١٢ ص ٢٢٦

تصدر للتدريس كل مهوس

قلت : رويت (مهوس) بكسر الواو واء من بفتحها (١) .
في التاج : وهو مهوس كمعظم ، وقد يطلق على من يهوى به المال يخوليا
والواسوس وعلى من يشتغل بعلم الكيمياء : والعامّة تستعمل
المهوس بمعنى الأمل وهو من ذلك

* في ج ٨ ص ٥٣ وهو القائل : (يعني حسن بن إسحاق
ابن أبي عباد اليميني النحوي) :

لممرك ما لا نحن من شيمتي ولا أنا من خطأ الحزن
ولكنني قد عرفت الأنا م نخطبت كلا بما يحسن
قلت : ميم الأنام مع جماعتها في الصدر ، وإقامتها في العجز
تخل بوزنه . وفي التقارب تجتمع العروض المعجبة والقبوضة
والمخدوفة

(١) أما الوسوس فهو بكسر الواو . في الأساس : وسوس الرجل
بلفظ ما سعى فاعله فهو وسوس بالكسر .

* في ج ٦ ص ١٢٣ وقال (أسعد بن المهذب) فيه (في
الثلج في حلب) :

لما رأيت الثلج قد غطي الوهاد والقفن
سألت : يا أهل حلب هل تظن السماء اللبن ؟
قلت : اليقين أن الأصل (سألت أهل حلب)

* في ج ٦ ص ١٧٥ ويقول الشعر (يعني صاحب بن عباد)
وليس يزال

وجاء في الشرح : أي ليس منحرفاً عن الصواب
قلت : وليس بمبتذل والشعر الضعيف إنما يوصف بالابتذال
لا بالزلل

* في ج ٥ ص ٥٦ حدثني المولى القاضي المفضل جمال الدين
قال : دخلت إلى صاحب أبي بشر وهو في مجلسه ، فجلست إلى
جانبه ، فأنشدني ممتثلاً :

إنك لا تشكو إلى مُصِيتٍ قاصِرٍ على الحمل الثقيل أومتِ
إشارة إلى أنه لم يشكه . قال أبو زياد الكلابي : ومثل من أمثال
العرب : إنك لا تشكو إلى مُصِيتٍ . والتصيت أن تقول
المرأة إذا بكى صبيها الرضيع وهي مشغولة عنه لبعض صيائها
أولزوجها : صمّت هذا الصبي . فيأتيه فيحضنه بيده حتى
يسكت ...

قلت : ضبطت (مصمت) في البيت وفي المثل بسكون الصاد
وكسر الميم غير مشددة . وإنما هي بفتح الصاد وكسر الميم مع
التشديد . وبيت الراجز يكسر بذلك الضبط . وفي اللسان والتاج :
« صمّت الرجل شكاً إليه فزع له من شكايته ، قال : (إنك
لا تشكو ، البيت) ومن أمثالهم (إنك لا تشكو إلى مصمت)
أي لا تشكو إلى من يعبأ بشكواك »

وما ذكره ياقوت في تفسيره طريف وإن لم يرد ...

* في ج ٦ ص ١٨

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى

بخيلاً له حتى المات خليل
قلت : ضبطت (خلان) بكسر الخاء هنا وفي مواضع كثيرة في
الكتاب ، وهي بضمها . والبيت لإسحاق بن إبراهيم الموصل في
مقطوعة أنشدها الرشيد ، وختمها بقوله :

بما اشتمل عليه ، يقال . امرأة حسنة المعارف ، وفلان من المعارف
أى من المروفين ، ومعارف الرجل أصحابه وأهل مودته كما
هو شائع

قلت : نجمله عيداً مُشْرِفاً ، وتتخذهُ موسماً ومُعرفاً
وعرّف القوم — كما فى اللسان — وقفوا برفقة ، وهو
المعرف للموقف برفقات . وفى النهاية : وفى حديث ابن عباس :
ثم محلها إلى البيت العتيق — ، وذلك بعد المعرف يريد به الوقوف
برفقة ، وهو التعريف أيضاً

* فى ج ١ ص ٢٣١ فهذا الضرب من الكلام يجب أن
يفتخر بمثله ويترقق به ؟

وفى الحاشية : يريد الاقتحار ، والترقق السخرية
قلت : لم أر الترقق بمعنى السخرية فى مكان ، وربما أراد القائل
بالترقق النظرف والزين

* فى ج ٦ ص ٢٠٠ فَلْيُفْرِج رَوْعَكَ

قلت : ضبطت (فليفرج) بلفظ ما لم يسم فاعله وبالجم .
وكلامهم فى هذا المنى « لِيُفْرِجْ رَوْعَكَ » أى ليخرج عنك
فرعك كما يخرج الفرخ عن البيضة » ، كما فى اللسان ، وروى
مثله التاج . وفرّخ الروع وأفرخ ذهب الذهب

ومن أمثالهم « أفرخ روعك » قال الميداني : أفرخت البيضة
إذا انفلقت عن الفرخ فخرج منها . يضرب لمن يدعى له أن
يكن روعه

* فى ج ٦ ص ١٩٥

دَبَّتِ الضَّرِإُنَا وَمَشَيْتِ الْجَمْرَ عَلَيْنَا

قلت : دبت غير مضعفة وكذلك مشيت . والضرا إنما هو
(الضَّرَاءُ) فى الصحاح : الضراء بالفتح الشجر الملتف فى الوادى ،
وفلان يمشى الضراء إذا مشى مستخفياً فيما يوارى من الشجر ،
ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يمشى له الضراء ويدب له الخمر
والجر إنما هو (الخَمَرُ) فى اللسان : الخمر كل ما سترك
من شجر أو بناء أو غيره ، ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو
يدب له الضراء ويمشى له الخمر

* فى ج ٦ ص ٢٩٠

سقى الله دارات ممرت بأرضها فاديتك نموى يا زياد بن عامر

وكيف أخاف الفقراء وأحرم الثنى ورأى أمير المؤمنين جميل ؟ !
قَالَ الرشيد : لا تخف ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثم قال : لَنْ تُدْرِيَاتِ
تَأْتِينَا بِهَا مَا أَشَدُّ أَصُولَهَا ، وَأَحْسَنُ فَصُولَهَا ، وَأَقْلُ فَضُولَهَا !
وَأَمْرٌ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ . فقال له إسحاق : وصفك والله
(يا أمير المؤمنين) لشعري أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة ؟
فضحك الرشيد ، وقال : اجعلها لهذا القول مئة ألف درهم .
قال الأصمعي : فملت يومئذ أن إسحاق أخذ بقصيد الدرام منى
وقول الرشيد (لا تخف) هو رواية الأغاني . وما جاء فى
(إرشاد الأريب) هو (لا كفيك)

وقد جاء فى الحاشية : هذه طريقة الكوفيين إذا أكدوا
الفعل إذ يكتبون باللام بدون نون التوكيد ، أما البصريون
فيوجبون الجمع بين اللام والنون فيقولون : (لا كفيك)
قلت : رواية الأغاني أصح و (لا تخف) تجاوب (كيف
أخاف ؟)

* فى ج ٦ ص ٤٤ كان ابن الأعرابي يقول : إسحاق
(والله) أحق بقول أبي تمام :
يرى بأشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه
من قد قيل فيه

قلت : ترى بالناء ، وقبله :
لست من العيس أو أكلتها وخدايدوى المريض من وصيه
وفى هذه القصيدة :

والحظ يطاه غير طالبه ويحز الدر غير محتلبه

وهل يبالي إقراض مضجعه من راحة المكرمات فى تعب
* فى ج ٦ ص ٣٣ وقال (يعنى الواصل لإسحاق الموصلى)
ما هو الأفضل ؟ أدب وعلم مدحه الأوائل ، واشتهاه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون بعدهم ، وكثر فى حرم
الله عز وجل ومهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم
قلت : ما هو إلا فضل أدب وعلم

* فى ج ٦ ص ٢٩٠ ونص على يوم الوصول نجمله عيداً
مُشْرِفاً ، وتتخذهُ موسماً ومُعرفاً

وجاء فى الشرح : المعرف والمعرف واحد المعارف وهى الوجه

من سخرات الوضاعين

سورة النورين

وكتاب دبستان مزاهب

للدكتور جواد علي

—>>><<<—

في كتاب فارسي طبع عدة طبعات في الهند وإيران^(١) سورة دعيت سورة النورين ، زعم مؤلف الكتاب أنها من السور القرآنية التي لم يقبل الخليفة عثمان بن عفان درجها في القرآن الكريم^(٢). وقد نقل هذه السورة المستشرقون عن هذا الكتاب ومن أشهر هؤلاء المستشرقون ولدكه في كتابه « تاريخ القرآن »^(٣) والكتاب خير مرجع لمن أراد البحث عن تاريخ الملل

(١) راجع- Encyclopédie de L' Islam vol 1 p 908 Catalo- gue of the Persian Manuscripts of the British Museum 1, 141 (٢) راجع دبستان مذاهب طبعة بمبي سنة ١٢٦٢ هـ ص ٢٢٨ (٣) راجع تاريخ القرآن > ٢ ص ١٠٢ كذلك Journal Asia- tique 1842 vol 1 p, 431-459

* وفي ج ٧ ص ١٤٤

أثبت بن سنان ، دعوة شهيد

لربها أنه ذو غسلة أبيض قلت : ضبطت (بن) بالضم في البيتين وإنما هي بالفتح ، ولا يجوز الضم بوجه من الوجوه . و (زياد) و (ثابت) جائز في مثلها الضم ، والمختار الفتح ، وفي شرح الكافية ج ١ ص ١٤١ : « وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه »

وفي شرح الفصل لابن يعيش : حق الصفة أن تتبع الموصوف الصفة ... شبه سيبويه^(١) حركة الدال من زيد بحركة الراء من امرئ ، وحركة النون من ابنم ، فكما أن الراء من امرئ تابعة للهمزة ، والنون من ابنم تابعة للميم ، كذلك أتبعوا الدال من (يازيد بن عمرو) النون من ابن ، لأن الصفة والموصوف كالصلة والموصول ، وانضاف إلى ذلك كثرة الاستعمال فقوى الاتحاد

(١) ج ١ ص ٢١٣ وشاهده قول الرازي : (يا حكم بن النذر بن الجارود) وقول الرازي : (يا عمر بن سعد لا منتظر)

٢٤٠٣٧

والنحل والمذاهب والأديان في الهند وإيران ، وبخاصة في القرن الحادي عشر للهجرة ، أي في العصر الذي عاش فيه مؤلف هذا السفر. على أننا لا نعرف عن مؤلف الكتاب شيئاً ؛ وكل ما نعرفه أنه عاش في مدينة « إكرا » الهندية وأنه ألف الكتاب بين سنتي ١٠٦٤ و ١٠٦٧ للهجرة^(١).

يستهل صاحب الكتاب كتابه بالبحث في عقائد الفرس عبدة النيران (Parsis)^(٢) فيفصل فيه تفصيلاً وافياً ويجيد فيه إجابة تامة . ويتناول حياة (زردشت) على الأخص بالتفصيل ويدعوه (النبي زردشت)^(٣) وبعد هذا البحث ينتقل إلى آراء أهل الهند ثم أهل التبت ، فيجيد في بحث الهند أيضاً ، ويتناول بالبحث بعض الفرق الهندية التي لا يعرف عن آرائها إلا النزر اليسير . وهو في بحثه هذا أشبه الناس بالبيروني أبي ربحان محمد بن أحمد (٩٧٣ — ١٠٤٨) الفيلسوف الراجزي الشهير وصاحب « تحقيق ملل الهند »^(٤) من حيث الطريقة في البحث والحرية في عرض الحقائق والحياة في معالجة القضايا الدينية ومناهج البحث .

المؤلف على ما يظهر راوية لما يسمع ، يحدث لما يرى ، جالس علماء الطوائف المختلفة وتكلم إلى رؤساء الشيع والمذاهب ، فقل ما سمعه نقلاً لا ندري مبلغ درجته من الصحة لجهلنا بمنزلة المؤلف ودرجته من الحق . أخذ معلوماته عن السنة من كتاب واحد هو « كتاب الملل والنحل » للعلامة الشهير أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني^(٥) ولعله استمد معلوماته عن بقية المذاهب الإسلامية من هذا الكتاب أيضاً ؛ غير أنه لم يذهب مذهبه في التقسيم ولم يتوسع توسعه في العرفة بل اقتصر على معلومات عامة وخاصة تناسب الهند والحالة السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الزمان .

(١) دائرة المعارف الإسلامية > ١ ص ٩٠٨ أيضاً Ethé, Catalo- logue of the Persian 1, 1369

(٢) عن البارسي (الفرس) راجع دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britanica. The Religion of the East p, ٢٥١ و (٣) راجع دبستان مذاهب ص ٧٢ وما بعد .

(٤) راجع Hitti, History of the Arabs p, 377 ودائرة المعارف الإسلامية . مادة البيروني .

(٥) راجع الملل والنحل (طبعة لندن) في جزئين عن الشهرستاني راجع دائرة المعارف الإسلامية ، كذلك G, W, Thatcher, Art " Shahrastani " in Eney Clopedia of Religion and Ethics

للهجرة^(١). وهؤلاء العلماء الذين تحدث إليهم مؤلف الكتاب ونقل عنهم هم «ملا معصوم ومحمد مؤمن تولى وملا إبراهيم» ذكر أثناء حديثه عن الإثني عشرية بعض العلماء أمثال العلامة الشيخ الفقيه^(٢) والشيخ الطوسي^(٣) والشيخ الرضي^(٤) وأحدث الكليني صاحب «الكافي»^(٥) وهو أشهر كتاب في الحديث لدى الشيعة الإثني عشرية، والعلامة الحلي^(٦).

ويتكلم في موضوع انقسام الشيعة الإثني عشرية من حيث الفقه وأصوله إلى أصولية وهم غالبية الشيعة ومجهرتهم، وأخبارية وهم القائلون بالأخبار وقوة الحديث تجاه الرأي وترك الأخذ بالرأي والاجتهاد. ويستند في بحثه عن الأخبارية على كتاب «الفوائد المدنية للملا محمد أمين الإسترابادي أشهر علماء الإخبارية ولسان هذا المذهب ومنظمه»^(٧).

وينقل المؤلف إلى الغلاة من الشيعة وهم العلي الآشعية الذين يؤمنون علياً. ومن رأى المؤلف أن رجال هذه الفرقة يضيفون إلى القرآن كل ما يجدونه من كلام الإمام علي، على أنه من كلام الله، فإدام القرآن هو كلام الله، وما دام الإمام علي هو الله يعبه فلم لا يجمع كلامه كله في صعيد واحد هو القرآن^(٨)؟

وينفرد المؤلف بذكر فرقة إسلامية لم تعرف في كتاب آخر سماها «الصادقية» أو «الميلية» أتباع مسيلة الذي بلقبه المسلمون بلقب «مسيلة الكذاب» ويدعى بأنه رأى هذه الفرقة

واستمد معلوماته الشفهية عن أهل السنة والجماعة ممن اتصل بهم من العلماء أمثال «الملا عادل الكاشغري الذي التقى به في مدينة لاهور عام ١٠٤٨ للهجرة، والملا محمد معصوم الكاشغري، والملا يعقوب الترقائي وأمثالهم»^(٩). ويجعل المؤلف ديباجته عن أهل السنة والشيعة هذه العبارة «سمعت من ثقات أهل السنة رحمهم الله وقرأت في كتبهم وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني أن الرسول عليه السلام قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمِّي مَا أُنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. تَفْرُقُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلةً، وَتَفْتَرِقُ أُمِّي عَلَى ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ مِلةً تَرِيدُ عَلَيْهِمْ مِلةً كَهَنَ فِي النَّارِ إِلَّا مِلةً وَاحِدَةً. قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ الْمِلةِ الْوَاحِدَةِ» قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١٠).

ويقسم المؤلف أهل السنة والجماعة إلى أصناف ثلاثة: معتزلة وأشعرية ومجسمة. ويتفرغ لبحث المجسمة على الأخص. فيذكر بعض حججهم واستدلالاتهم مثل قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» و«وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة» ومثل ما روى في الحديث «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» و«خلق الله آدم على صورته»^(١١). وقد أسهب في هذا الباب إسهاباً يلفت النظر، فالمعروف أن الشبهة أو المجسمة لم تكن إلا فئة قليلة بالنسبة إلى الأشعرية وهم غالبية السنة فلم كل هذا الإسهاب؟ وعد الزيدية أو الأموية في عداد أهل السنة ومعلوماتهم عنهم لا تجلب إلى القارئ شيئاً جديداً، ولعل بعد ما كن الزيدية عنه حال بينه وبين الكتابة كما يجب أن يكون.

أما الطائفة الثانية من الطوائف الإسلامية فهي الشيعة، ويستهل بحثه عن الشيعة بهذه العبارة: «سمعت من علماء الشيعة بأن الشيعة هم حزب علي بن أبي طالب القائلين بإمامته»^(١٢). ولم يذكر من طوائف الشيعة غير الإثني عشرية والإسماعيلية. ومرجعه عن الإثني عشرية رواية نفر من علماء الشيعة ممن كانوا يقيمون في مدينة لاهور. والظاهر أن الحديث معهم كان في عام ١٠٥٣

(١) ديبتان مذهب من ٢٢٣ ومواضع أخرى.

(٢) هناك خلاف بين العلماء في منطوق هذا الحديث وفي صحته وعدم صحته. وقد جاء في أغلب كتب علم الكلام. راجع الشهرستاني ج ١ ص ٤ والقرنبي ج ٢ ص ٣٤٥ وفرق الشيعة للتوحيدي ص ٣ والبغدادي ص ١٤ وغيرها.

(٣) راجع ديبتان مذهب في بحث المجسمة.

(٤) ديبتان مذهب ص ٢٢٦.

(٥) صاحب الكافي مات سنة ٣٢٨ هـ إفتان ص ١٣٥.

(٦) ديبتان ص ٢٣١ - راجع عن الحلي توفي سنة ٧٢٦ للهجرة (١٣٢٥ م) Brown Literary History of Persids part 4 p, 405 Donaldson, the Shi'ite Religion London 1933 p, 296 راجع كتاب الرجال للعلامة جمال الدين بن يوسف بن مطهر الحلي. وكتبه الأخرى.

(٧) ديبتان ص ٢٣١ وما بعد. (٨) ديبتان ص ٢٤٦.

هي إسلامية ولا هي شرقية بحتة ، بل هي وسط بين هذا وذلك
أكلها علماءهم على مرالسنين، وتبايت كلما قدم العهد عليها ، أمثال
« درويش اسماعيل » و « ميرزا تقى » و « شيخ لطف الله »
و « شيخ شهاب »^(١).

وللواحدية كتاب اسمه « الميزان » يتألف من رسائل فيها
علوم الأولين والآخرين منذ يوم الخليفة إلى يوم يمشون ، فيها
الفيضات والنبوءات وكل ما يحتاج إليه الإنسان . وأهم ما في هذا
الكتاب هو أن دين العرب سيدوم ثمانية آلاف سنة لأن برجه
« الثريا » ، ثم ينطوى ذلك الدور ويأتى بعده دور العجم حيث
يدوم نفس هذا المقدار^(٢).

وكانت للواحدية عصبة اتخذت لها مدينة « أصفهان » في
إيران مقراً وكانت لها جماعة وأنصار ، وقد زارها مؤلف الكتاب
ووجد لها دعاة في تلك المدينة ، ولكن الشاه عباس الصفوى ابن
الشاخدا بنده قضى على هذه الجماعة ونكّل بها حتى لم تبق لها بقية
على ما يراه مؤلف الكتاب .

لم يعرف عن مؤلف الكتاب شيء ، وقد أجهد المستشرقون
أنفسهم للتعرف على هذا المؤلف ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة
حاسمة حتى الآن . وكان أول من عرف هذا الكتاب إلى
الأوربيين هو المستشرق الفرنسى « دى تاسى » (Garcin de
Tassy)^(٣) ، ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية ، ترجمه المستشرق
الإنكليزى « كلاودين » (Gladwine) بعنوان « The School
of Manners » ولم تكن ترجمته ترجمة صحيحة مضبوطة فأكلها
« داود شى » (David Shea) ، ثم « أنطون ترير » (Anton
Trayer)^(٤).

وذهب المستشرقون إلى أن مؤلف الكتاب هو رجل يدعى
« محسن فاني » لا جاء في مقدمة بعض الطبقات : « يقول محسن
فاني »^(٥) ولعله الشيخ محسن فاني الكشميرى التوفى عام ١٠٨١
للهجرة أو ١٠٨٢ . ولهذا الشيخ مؤلف اسمه « مصدر الآثار
مثنوى » وهو شعر على طريقة التصوفة كتبه سنة ١٠٦٧ للهجرة .

(١) ديبتان ص ٢٥١ .

(٢) ديبتان ص ٢٥١ .

(٣) Journal Asiatique 1842 Tome 1 431 .

(٤) Pertach P, 271 nr 229 Zeuker nr 822 Rieu, Catalogue
of the Persian manuscripts of the British museum 1, 141

(٥) نفس المصادر وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد

و Troyer David Shea the Dabistan 1843

في مشهد من أعمال خراسان عام ١٠٥٣ للهجرة ، وأنه شاهد
علم هذه النحلة « محمد قلى » ؛ وقد أخبره هذا العالم على ما يدعيه
مؤلف الكتاب بأن مسيلة الذى يلقبه المسلمون زوراً بلقب
الكذاب إن هو إلا نبي مرسل وشريك محمد رسول الله في
الرسالة^(١).

ولمسيلة هذا كتاب سماوى يضاهى القرآن ويحاكيه على حد
تعبير إمام هذا النحلة اسمه « الفاروق » لأنه يفرق بين الحق
والباطل ، وهو « الفاروق الثانى » ؛ أما الفاروق الأول فهو « الفرقان »
أو « القرآن » . وقد جاءت في « فاروق » مسيلة آخر أحكام الله
ونواهي ، لذلك فهو خاتم الكتب السماوية ، كما أن مسيلة هو
خاتم الأنبياء والمرسلين^(٢).

ويزعم مؤلف الكتاب أن زعماء الصادقية يعرفون كتاب
« الفاروق » ويحفظونه ، وأن رئيسهم كان يحفظ هذا الكتاب
القدس ، وأنه أخذ عن أجداده فأجداد أجداده إلى مسيلة . وهو
يفتخر بانتسابه إلى سلالة تشرفت بخدمة مسيلة وقامت بواجب
التعظيم لنبى مرسل ولكنه لم يذكر ولا أية واحدة من آيات هذا
الفاروق على خلاف عادته في ميله إلى ذكر الغريب^(٣).

وتأخذ طرق « الصوفية » و « الإشرافية » و « الحشك »
مقلاً طويلاً من كتابه ، فهو يبحث في فرقها حتى ينتهى
الكتاب . ومن الطرق الغريبة طريقة « الواحدية » الذين يقولون
بوخدة الجسد والروح . فهم في هذا على مثال القائلين بالطبيعة
الواحدة في المسيح^(٤) . ومؤسس هذه الطريقة هو « محمود » من
قرية « مسجوان » إحدى قرى كيلان ، وقد ظهرت دعوته عام
٦٠٠ للهجرة^(٥).

ومحمود هذا على زعم « الواحدية » هو المقصود بقوله تعالى : « عسى
أن يبعثك ربك مقاماً محموداً »^(٦) وقد مزج أصحابه بين الفلسفة اليونانية
وبين الصوفية الهندية الإيرانية ، وبين علم النجوم وأحكام الدين حتى
تولدت من هذا المزيج الغريب « غنسطية » لا هي مسيحية ولا

(١) ديبتان ص ٢٤٦ وما بعد عن مسيلة ، راجع الطبرى وابن
الأثير وسيرة ابن هشام وابن كثير التامى ثم Muir, the life of Muhammed

(٢) ديبتان ص ٤٧ .

(٣) ديبتان ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) راجع J M Robertson a short history of christianity
Encyclopaedia of Religion and Ethics 1918

(٥) ديبتان ص ٢٣٩ وما بعد .

(٦) ديبتان ص ٢٥٠ .

وتوجد نسخة منه في مكتبة إدارة الهند^(١).

ولعل أهم ما نفت أنظار المستشرقين إلى هذا الكتاب هو وجود سورة سماها المؤلف «سورة النورين» نزلت في الإمام علي وذريته من بعده . رغم أن الشيعة يعتقدون بأنها من السور القرآنية التي حذفها الخليفة عثمان بن عفان^(٢). وقد نشرت في المجلة الآسيوية (Journal Asiatique)^(٣) ثم نشرت في كتاب «تاريخ القرآن»^(٤).

ولا يذكر المؤلف اسم المصدر الذي استقى منه هذه السورة ، ولا الكتاب الذي اعتمد عليه ، ولا الشخص الذي روى عنه سورة النورين . ولم أعثر حتى الآن على مصدر شيعي قديم أو حديث يعرف هذه السورة أو أشار إليها ولو إشارة بسيطة . ولو كانت هذه السورة موجودة حقاً لما تورع المؤلفون عن ذكرها والاستشهاد بها كما فعلوا في الاستشهاد بمواضع من آي الذكر الحكيم ، وبالأحاديث المروية عن الرسول في تأييد وجهة نظرهم إلى إمامة الإمام^(٥) . أما السورة المزعومة فهي هذه :

سورة النورين

بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين ، أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم . إن الذين يؤفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا آمن بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يتخذون في الجحيم . طلبوا أنفسهم وعصوا لوصي الرسول أولئك يسقون من حميم . إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء وانطفى من الملائكة والرسول وجعل من المؤمنين . أولئك من خأف الله يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أنهم . إن الله قد أهلك عاداً وحموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هرون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون

(١) Catalogue of the Persian manuscripts of the Library of the India office vol 11, 1934 - p, 1071

(٢) ديبان مذاهب ص ٢٢٨

(٣) 1842, vol 1 P, 431 و 43 vol 2 P, 414

(٤) تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد .

(٥) راجع كتب الشيعة المتبعة أمثال الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (طهران ١٢٨١) ومن لا يحضره الفقيه . وثمار الأنوار للعلامة المجلسي (طهران ١٣٠١) في ٢٦ مجلداً وشرح اللغة . وكتاب الإرشاد للعلامة المنجد وغيرها .

لكم آية وإن أكثركم فاسقون . إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون . إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إذ أرى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون . مثل الذين يؤفون بعهدك إلى جزيتهم جنات النعيم . إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن علياً لمن المتقين . وإنا لنوفيه حقه يوم الدين . وما نحن عن ظلمه منافقون . وكرّمناه على أهلنا أجمعين . وإبه وذريته لصارون . وإن عدوهم إمام المجرمين . قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله وتغنمتم اليهود بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال للمكرم تهتدون . يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً ومن يتوله من بعدك يظهرون . فأعرض عنهم إنهم معرضون . إنا لهم محضرون في يوم لا ينفي عنهم شيئاً ولا هم يرحمون . إن لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون . فصبح باسم ربك وكان من الساجدين . ولقد أرسلنا موسى وهارون عدا استخلف فبنوا عليهم قصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يُبلون^(١) . ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين . وجعلنا لك منهم وصياً لهم يرجمون . ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلانسأل عن الناكثين . يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً نخذه وكن من الشاكرين . إن علياً قائماً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه ، قل هو يستوى الذين ظلموا وهم بعبادتي يعلمون . سيجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندسون . إنا بشرناك بذرية الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون . فقلهم متى صلاة ورحمة أحياء وأمواتا ويوم يبعثون . وعلى الذين يبنون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين . وعلى الذين سلكوا ملكهم متى رحمة وهم في الغرفات آمنون . والحمد لله رب العالمين آمين^(٢) .

مبارك علي

(١) في ديبان المذاهب فسوف يصرون وفي تولدك تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠١ فسوف يبلون .

(٢) ديبان المذاهب (طبعة يحيى) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ و 1843 vol 1 P, 431 و Journal Asiatique 1842 vol 2 P, 414 وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١ .

العرب كذلك لم يكونوا مجابين يوم قالوا عن هذا النسق العالي :
إله شعر !

« لقد راع خيالهم بما فيه من تصوير بارع ، وسحر وجداهم بما فيه من منطق ساجر ، وأخذ أسمعهم بما فيه من إيقاع جميل . وتلك خصائص الشعر الأساسية ، إذا نحن أغفلنا القافية والتفاعيل . »
« على أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً . فقد أعنى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة ، فال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة . وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفعيل ؛ والتفعيل المتقاربة التي تغني عن القوافي ؛ وضم ذلك كله إلى الخصائص التي ذكرنا ، فشأى النثر والنظم جميعاً . »

هو إذن ليس شعراً وإن أخذ من الشعر خصائصه الفنية فهو نثر . ولكنه النثر الذي يرتقي فيه التناسق الفني آفاقاً وراء آفاق على النحو الذي أوضحته في فصل « التناسق الفني » وقلت إن به تقويم هذا الكتاب وهي آفاق لم تبلغ في القديم والحديث بلا ارتياب .
ثم قال :

« وأما الملاحظة فمن الفصل الذي خصصته للنماذج الإنسانية ، فقد وجدت فيها استشهدت به من آيات ما يعبر عن طبائع بشرية وسجايا نفسية لا نماذج إنسانية ، فالنموذج الإنساني بمعناه العلمي شيء أشمل من هذا ، وقد يحوي الكثير من هذه الطبائع كما قد يحوي غيرها . والمهم أنه يعرضها على نحو خاص يتفق ومزاجه الأساسي : والنماذج الإنسانية محدودة معروفة — على اختلاف تقسيم علماء النفس لها — أما الطبائع فلا حصر لها . فلعلك قصدت الطبائع لا النماذج . »

وأحب كذلك أن أختار كلمة « نماذج » أقرب إلى ما يفهم من طبيعة التعبير القرآني حين يقول مثلاً : « ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة » أو حين يقول : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » ... فقلوه : « ومن الناس » يعني : وفريق من

على هامشي النثر :

مباحث عن التصوير الفني في القرآن الأستاذ سـيـد قطب

—>>><<<—

كانت خطتي التي اعترستها أن أدع كتاب « التصوير الفني في القرآن » وشأنه مع القراء والنقاد ، يصنعون كيف يشاؤون ، بعد أن فرغ بيني وبينه كل حساب !
ولكن بعض الذين تفضلوا بالكتابة عنه قد أثاروا أسئلة ومباحث حول الموضوع ذاته ، فلم تعد المسألة مسألة كتاب التصوير الفني ولكنها مسألة القرآن . وهي بهذا الوضع تصلح لحديث متصل ، ولا يعد حديثي عنها عودة إلى كتاب بذاته . وهذا ما ييسر لي أن أخالف خطتي في هذه النقطة وحدها . وسأدع للقراء والنقاد كل ما يمين لهم خاصاً بتقدير كتابي دون اعتراض عليه ، ولن أناقشهم إلا فيما يتناول الموضوع ذاته ، وهو ملك لي كما هو ملك لهم بطبيعة الحال !

وجه إلى الأستاذ نجيب محفوظ سؤالا ، ولاحظ على فعل من فصول الكتاب ملاحظة قال :

« فأما السؤال فإنك تحدثت عن التصوير والتخييل والتجسيم والتنسيق الفني ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل أي شيء آخر . أفلم يخطر لك أن تحدث نوع كلام القرآن على ضوء بحثك هذا ؟ »

وأنا أحسبني قد أجبت على مثل هذا السؤال حينما قلت في صفحة ٨٣ من الكتاب وما بعدها هذه الفقرات .

« جاء في القرآن الكريم : [وما علمناه الشعر - وما ينبغي له - إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين] . »

« وجاء فيه حكاية عن كفار العرب : « بل افتراءٌ - بل هو شاعر » . »

« وصدق القرآن الكريم ، فليس هذا النسق شعراً . ولكن

« ولكن ماذا أرى ؟ »

« إن حقيقة جديدة تبرز لي . إن الصورة في القرآن ليست جزءاً منه يختلف عن سائرهِ . إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجليل . القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض — فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال — فليس البحث إذن عن صور تجمع وترتب . ولكن عن قاعدة تكشف وتبرز .

« ذلك توفيق . لم أكن أطلع إليه حتى التفت به »

ولقد كنت أعني ما أقول ، وأرتكن فيه إلى الدليل .

والأستاذ عبد المنعم يخشى « إدراك سر الإعجاز » لأننا نستطيع في اليوم الذي نصل فيه إلى إدراك سر الإعجاز في تعبير القرآن أن نستخدمه في صنع كلام معجز ، وحينئذ لا يكون معجزاً ما دام مفتاحه بأيدينا وفي طوق صنعتنا »

ولست أرى داعياً لهذه الخشية لأن المسافة بين إدراك سر الإعجاز في العمل الفني خاصة ، وبين صنع الكلام المعجز ذاته مسافة متطاولة . وليست هذه على كل حال بمناعة للباحثين من محاولة إدراك هذا السر قدر ما يستطيعون ، وترك ما لا يدركونه للغيب المجهول .

على أنني أحب أن أصبح شيئاً في الموضوع ، فإن قولي « أدركنا سر الإعجاز في تصوير القرآن » جاء في معرض آخر يجعل له اتجاهاً آخر . إنه جاء هكذا بعد بيان ما في تصوير القرآن من إبداع يرتفع فوق ما تستطيعه الريشة المصورة والعدسة الشخصية : « فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى النهائي والحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي ، إنما هي ألفاظ جامدة ، لا ألوان تصور ولا أشخاص تعبر . أدركنا سر الإعجاز في تعبير القرآن »

وما من شك أن قيام الألفاظ وحدها بوظيفة أرق من وظيفة الريشة والعدسة في مجاله الخاص نوع من الإعجاز ، وحين ندركه مطرداً إنما ندركه « سر الإعجاز » بمقدار ما يستطيع إدراكنا الإنساني وهو المعنى في هذه الحال .

وأما الملاحظة الثانية فمن « المنطق الوجداني في القرآن » وقد أدار عليها الأستاذ عبد المنعم معظم القول . ومما جاء عنها هذه الفقرات :

الناس . أو وسف من الناس . أو ونعوز من الناس ... على السواء .

على أن كل إنسان تغلب عليه « طبيعة إنسانية » معينة ، حتى تصبح سمته له يعرف بها وتدل عليه ، إنما يصبح « نموذجاً » إذا كان عنواناً لطائفة من هؤلاء الذين غلبت عليهم هذه الطبيعة بعينها « فالسكارة » طبيعة و « المكابر » نموذج مثل « المقامر » و « البخيل » و « المييط » وأمثالها من الصور الإنسانية التي أبدعها أقلام بعض الفنانين ، وعرفت في عالم الأدب باسم « النماذج » على هذا المدلول . ومنها معظم « النماذج الإنسانية » التي يرسمها التعبير القرآني في بضع كلمات أو فقرات .

وكتب الأستاذ عبد المنعم خلاف كلمة مطولة ضمنها ملاحظتين أساسيتين على مباحث الكتاب :

فأما أولاهما فخاصة بالتصوير في القرآن وفيها يقول :

« غير أنني أخشى أن يكون قد أفلتت لفظة أو اثنتان من قلم المؤلف في أهم فصل من فصول الكتاب خرجت بهما فكرته الأساسية التي عنوانها في جوهر من المبالغة والتعميم . ذلك أن يقرر في الفصل الذي أنشئ من أجله الكتاب أن (التصوير هو الأداة « المفضلة » في أسلوب القرآن) وأن إدراكه وسيلة إلى (إدراكنا « سر الإعجاز » في تعبير القرآن) »

« فإننا لا نستطيع أن نتجاوز عن إطلاق كلمة « المفضلة » ولا عن إطلاق « سر الإعجاز » لأن الحكم بتفضيل القرآن للتصوير كأداة في التعبير يقتضي الاعتماد على « الإحصاء » وظهور نتيجته بكثرة عددية . فهل إذا أحسينا طرق التعبير في القرآن نجد ما قرره يحظى بالكثرة العددية ؟ »

وجوابي للأستاذ عبد المنعم هو « نعم » وقد كانت مهمتي هي هذا « الإحصاء » وكان حكمي قاعاً على هذا « الإحصاء » وقد عبرت عن ذلك في فصل « لقد وجدت القرآن » حين قلت : « لقد بدأت البحث ومرجعي الأول فيه هو المصحف ، لأجمع الصور الفنية في القرآن ، وأستعرضها ، وأبين طريقة التصوير فيها ، والتناسق الفني في إخراجها إذ كان هي كله مرجعاً إلى الجانب الفني الخالص ، دون التعرض للمباحث الدينية أو سواها من مباحث القرآن المطروقة .

مادته هي المشاهد المحسوسة ، والحوادث المنظورة ، أو الشاهد الشخصية ، والمصائر المصورة . كما كانت مادته هي « الحقائق » البديهية الخالدة ، التي تفتح لها البصيرة المستنيرة ، وتذكرها الفطرة السليمة .

فأين فيما قلت : « إن منطقة الدين هي الوجدان وحده » في الوقت الذي أقول فيه : « وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة » ... كل ما يفهم من مجموعة ما قلت أنني لا أريد أن أكل هذه المهمة الضخمة لهذا الذهن الإنساني المحدود « وحده » ، وفيها ما يتصل بالغيب المجهول .

ثم اعتقدت أنني كنت دقيقاً في التعبير وأنا أذكر « الحقائق البديهية الخالدة » بل وأنا أذكر « النطق الوجداني » والنطق لا بد له من مقدمات وتناجج وليس هو مجرد « الانفعال » كما فهمه الأستاذ . وكل ما في الأمر أنها مقدمات وتناجج من نوع خاص يعتمد على الصور المحسوسة والمشاهد المنظورة كما يعتمد على الحقائق البديهية الكونية ، ولم يكن بد من تسميته كذلك وضعاً له في مقابل « النطق الذهني » الذي اتبعه « علماء الكلام » وهو غير النطق القرآني بلا جدال .

وكتب كاتب - أو كاتبة - في جريدة الأهرام « أن هذا الكتاب « محاولة » للبحث في جمال القرآن سبقها اتجاهات في الجامعة »

وللكتابة على هذا النحو أسباب خاصة ليس من شأن الحديث عنها كما أن وصف هذا العمل بأنه « محاولة » مسألة داخلية في دائرة « التقدير » التروكة للقراء .

إنما يعني هنا الحقيقة التاريخية ... إنني بدأت هذا البحث ونشرت فصولاً منه بعنوان « التصوير الفني في القرآن » في التتطف عام ١٩٣٨ ثم أخرجته كتاباً في هذا العام فأين هي البحوث الجامعية في هذا الاتجاه .

إن كان الغرض هو البحث في جمال القرآن فهذا بحث قديم قديم ؛ وإن كان الغرض هو البحث على نحو خاص غير مسبوق ، فالواقع ينطق بأن ما كتب في الأهرام لا يطابق الحقيقة . والسلام .

سير قطب

« فليس الموطن الأول لهذه العقيدة هو الوجدان - منطقة الانفعال والاستسلام أو الثورة - بل موطنها هو موطن ذلك « البرق » الذهني أو العقل الذي ينتج « حكماً » يرسله إلى الوجدان ، فينقل له ويتقبله و « يعقده » في طويته ويستسلم له ويسير حياته على مقتضاه .

« هذا البرق الذي ينتج « الحكم » يستمد حيثيات أحكامه من انطباعات الصور الناتجة للكون في النفس ومن الانفعالات الداخلية بهذه الصور » ثم يقول :

« فالقول بأن منطقة الدين هي الوجدان وحده قول غير إسلامي أخذه المسلمون المحدثون عن المفكرين غير المسلمين الغربيين لم يمزقوا الأساس الأول للإسلام والدين عامة » فإذا قلت أنا في كتابي مما بنى عليه الأستاذ عبد النعم هذه الأحكام ؟

لقد قلت :

« كانت وظيفة القرآن إذن أن ينشئ هذه العقيدة الخالصة المجردة (عقيدة التوحيد) . وموطن العقيدة الخالدة هو الضمير والوجدان - موطن كل عقيدة لا العقيدة الدينية وحدها - وأقرب الطرق إلى الضمير هو البدهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس . وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً » إلى أن قلت :

« فالذهن الإنساني خليق بأن يدع للمجهول حصته ، وأن يحسب له حسابه . لا يدعو إلى هذا مجرد القداسة الدينية ، ولكن يدعو إليه اتساع الآفاق النفسية وتفتح منافذ المعرفة . « فالقول » في عالم الذهن و « المحسوس » في تجارب العلم ، ليسا هما كل « المعروف » في عالم النفس . وما الفكر الإنساني - لا الذهن وحده - إلا كوة من كوى النفس الكثيرة . ولن يفلح إنسان على نفسه هذه المنافذ ، إلا وفي نفسه ضيق ، وفي قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشئون الكبار » .

ثم قلت :

« لقد عمد القرآن دائماً إلى لمس البدهة وإيقاظ الإحساس ، لينفذ منهما مباشرة إلى البصيرة ، ويتخطاها إلى الوجدان . وكانت

مفتر من تاريخ الاستكشاف :

فيتوس بيرنج

VITUS BERING

للأستاذ محمود عزت عرفة

بطرس الأكبر بين صربين

شهدت أخريات القرن الخامس عشر خرسنوف كولبس يضرب في أرجاء المحيط الأطلنطي غرباً ، على أمل أن يبلغ الهند من طرفها الشرق فيثبت صحة النظرية التي آمن بها من استدارة الأرض . وكان بسيل أن يحقق نظريته هذه لولا أن اعترضته أمريكا بهيكلمها العظيم ، فبقيت نظريته معلقة — بل وقابلة للجدل! — حتى قدر لماجلان أن يثبتها عملياً برحلته المشهورة فيما بين عامي ١٥١٩ و ١٥٢٢ م .

ومن ثم تابعت الرحلات في كل متجه ، وعرف الناس عن أمريكا الشيء الكثير ، حتى وافق أيام بطرس الأكبر — عاهل روسيا وسليل أسرة رومانوف^(١) — فحأكت بصدوره مشكلة آلي على نفسه أن يضع لها حلاً ... مشكلة عاضلة تتعلق بها مستقبل بلاده ، ويتوقف عليها مجدها وعظمتها واستقرار شعبها هادئاً — مدى أجيال — في حدود امبراطوريته التي تباعدت أطرافها ... وكان بطرس قد شنّ على السويد حرباً ضروساً انتهت بعقد معاهدة نيسناد في أغسطس من عام ١٧٢١ ؛ وبها ضم إلى بلاده دويلات من البلطيق آمن بها حدودها وعزز ركنها في اتجاه الغرب فراح بعد ذلك يتلفت إلى الشرق ... إلى أطراف سيبيريا المطلة على محيط مجهول يتكفئه الظلام والضباب .

ورأى ثاقب فكره أن لابد من النفوذ إلى أعماق هذه الموانع قبل أن تسد السيل عليه فيها دولة مستعمرة ، فيقف منها أمام

(١) ولي الحكم في روسيا بين عامي ١٦٧٢ و ١٧٢٥ م

« سويد » أخرى تقتضيه حرباً لا يعلم إلا الله نتائجها .

... ألا ماذا في نهاية الطرف الشمال الشرق من آسيا ؟ ..

... أم هي ممتدة شمالاً إلى مدى غير معلوم ، ... أم ثمة انفصال

تبدأ عنده أمريكا من حيث ينتهي العالم القديم ؟

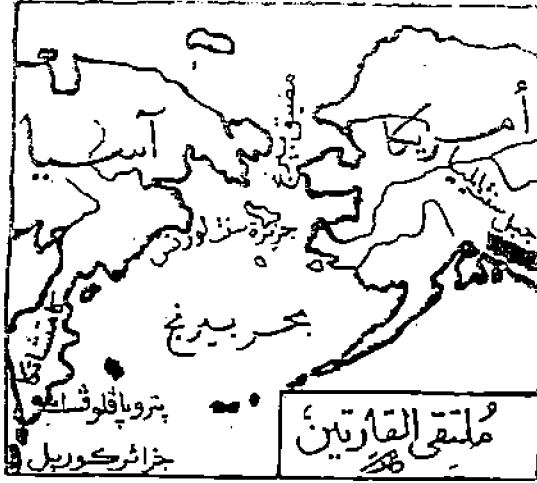
سؤال تقدم به بطرس إلى الطبيعة نفسها لا إلى عدو أو صديق من البشر ، ومعضلة ينبغي أن يحلها رحالة مستكشف لا قائد محارب . وللطبيعة سر لا تسلمه إلا لمن ينتصر عليها ؛ والانتصار على الطبيعة غير المحدودة ولا المتناهية ... الطبيعة ذات الأسرار الرهيبة والمفاجآت المركبة والقوى المحتشدة الكامنة التي تعصف بقوى الإنثان قبل أن يشعر بمجرد وجودها ، فضلاً عن أن ينهض إلى خصومتها — الانتصار على هذه الطبيعة — وتلك صفاتها — غير الانتصار على كتيبة من جند السويد ، أو نشر شباك مكيدة حول تركيا ، أو انتهاز فرصة اضطراب داخلي في بولندا ...

وكان بطرس ممن يحسنون تخير الرجال . فليس يزكى التاريخ « فيتوس بيرنج » بأكثر من أن يسجل أن بطرس قد انتقاه لمهمة خطيرة كانت شغله الشاغل وهو يجود بأخر أنفاس من حياته ... مهمة مات بطرس — كمنحوتنا المعروف — وفي نفسه منها شيء !

وكان بيرنج من أبناء دنمركة . ولد في هورسنز Horsens عام ١٦٨٠ ، وتقلب في أحضان البحر منذ صباه فتشاً بحاراً بالسليقة إن صحت العبارة ..

وقد زار المحيطين الأطلسي والهادي قبل أن يلتحق — وهو في الثالثة والعشرين من عمره — بالأسطول الروسي الحديث الذي أقام دعائمه بطرس الأكبر . واشترك بيرنج في الحرب البحرية ضد السويد فأبلى البلاء الحسن ، وكان من أثر ذلك أن قرر القيصر إيفاده على رأس البعث الذي أعد لكشف مجاهل شرق آسيا وما يكتنفه من مياه . ولم يحل دون ذلك ما كان من مرض بطرس (الذي انتهى بموته) ، ولا ما حدث من اضطراب في الأحوال الاقتصادية على آخر عهده .

كانت مادتها الخشبية وقتذاك لا تزال حذوفاً ضخمة تفتدى وتنمو على الشاطئ الشمالي الشرقى من آسيا ، فى انتظار أن باتى القوم فيقتطعوها ويصوغوا منها مطاياهم إلى البحر .



وكان على الركب الحاشد أن يقطع جبلاً شوامخ ، وأن يصنع لدى كل معبر نهر زوارق وأطواقاً يجتاز عليها من شاطئ إلى شاطئ ، ثم يخلفها وراءه تنى من شادها . وقد قضى البعث شتاء الأول فى أيلمسك Ilmsk الواقعة على مدى ثلاثمائة ميل تقريباً شمالى إركوتسك Irkutsk . وما كاد يتبلج وجه الربيع حتى تابعوا سيرهم خلال مستنقعات وغابات وبحار من الماء عميقة وجبال وعرة المسالك أدت بهم إلى بلوغ ياكوتسك Yakutsk على نهر لينا ؛ وهناك ألجأهم ضرورة النقل ومشقاته إلى أن ينقسموا أقساماً : فضى فريق على رأسه سبانجبرج Spangberg فى أسطول صغير من الأطواف عبر المسالك المائية المنحدرة شرقاً ، وتقدم بيرنج بطريق البر ومعه الجياد ومائتان من الرجال .. فى حين تبعهما الفريق الثالث عن كسب .

وبعد رحيل شاق مضى استغرق سبعة أسابيع وصل بيرنج إلى أوخوتسك Okhotsk حيث اقتطع رجاله ما يلزمهم من الخشب لإنشاء السفن وتشييد أرباض الشتاء ..

أما سبانجبرج فقد قطع عليه البرد طريقه ، ونفقت ركابته بفعل الجليد وانخفاض درجة الحرارة إلى السبعين تحت الصفر .

ولقد كانت تلك فى الواقع أعجب رحلة كشفية يشهدها العالم ، منذ أن قام الفينيقيون فى عهد فرعون مصر « نحاو » بطوافهم المشهور حول القارة الإفريقية (١) .

هجر مجاهل سبيريا

كانت أرض روسيا خلواً من المسالك والطرق ؛ وسبيريا التى تشغل شطرها الشرقى حتى المحيط لا تعدو أن تكون سهوباً مقفرة شديدة الإيحاء يسيطر عليها شتاء قاس رهيب لا يتبلج فى دهرته إلا عترة أيام من الصيف منيلات قصار .

وكان على بيرنج أن يقود بعثته مدى ألف ميل خلال هذه الأصقاع الوحشة حتى يبلغ المحيط فيبدأ أعماله الاستكشافية ؛ وكان عليه أيضاً - إذا قُدر له أن يبلغ المحيط ناجياً - مهمة ابتناء السفن اللازمة لهذه الرحلة المحظرة . وإن من نكد الدنيا حقاً أن ينوء هذا الرحالة الجريء بسب ستة عشر عاماً من الجهاد المضى ، قبل أن يتاح له تقديم جواب صحيح عن ذلك السؤال المعجز لبطرس الأكبر . ثم هو لا يفرغ من ذلك إلا ليفارق حياته مبتسماً عليلاً فوق جزيرة نائية ، بعد معاناة خطوط فواح وأهوال جسام ...

غادر بيرنج مدينة بطرسبرج فى فبراير عام ١٧٢٥ م على رأس خمسمائة من الرجال ما بين بحار وقين وكاتب ونجار وصانع شراع ، وكان معهم ثمانمائة دابة كحولة تقل ما يحتاجون إليه من الليرة والذخيرة ؛ وقد ارتفقوا بسائر ما يلزمهم عدا السفن نفسها ، إذ

(١) ذكر هيرودوت أن نحاو - وقد حكم بين عامى ٦٠٩ و ٥٠٣ قبل الميلاد - أراد أن يعرف علاقة البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، فكلف جماعة من الفينيقيين أن يسيروا فى البحر الأحمر نحو الجنوب بازاء ساحل إفريقيا الشرقى ، ثم يهودوا عن طريق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) إن أمكن . فقاموا بذلك السباحة خير قيام ، ولكنها استغرقت منهم ثلاث سنوات ، لأن سفينهم لم تكن تتسع لقدر كبير من المؤن ، فكانوا يتزولون على الساحل كل خريف . فيزرعون الأرض ثم يقيمون إلى ما بعد الشتاء حتى ينضج الزرع ، فيحصدونه ثم يلقون - راجع «أساس الفلك والجغرافيا» للأستاذين محمد غفر الدين وعبد الفتاح الزياوى

أن اليابسة تنحرف نحو الشمال الغربى ، فتنبع ساحل آسيا الشمالى إلى مدى سبائة ميل غرباً حتى بلغ خليج تشوان : Tchuan Bay وعرف أن آسيا تنحرف حقيقة في هذا الموضع ، لكنه لم يعثر بعد على القارة المزعومة التى قيل إنها تواجه آسيا عبر المحيط ، والتى يحتمل أن تكون أمريكا نفسها . ولاذيربح سواحل كامتشاتكا طوال أشهر الشتاء ، ثم انطلق يبحث عن أمريكا في ربيع عام ١٧٣٩ متجهاً صوب الشرق . ولما أعجزه الوقوع على طلبته كر أدراجه عائداً إلى بطرسبرج ؛ وهناك قص حدث مغامرته العجيب فأثار حدة عاصفة قوية من السخرية والتكذيب .. عاصفة أنستة شدتها ماقتسى من عواصف سيبيريا ، وهوت لديه ما لاقى من قواصف المحيط ..

وكانت القيصرة كاترينا التى خلفت بطرس الأكبر على عرش روسيا لا تقل عن سلفها طموحاً في الغاية ولا جرأة في العمل ؛ وقد أثر في نفسها ما لقيته مساعى بيرنج من إكار وجود وأنجها من الرجل شهامته وبذل سلوكه ، فأبت أن تقطع الألسنة الحداد اللاتى سسلقته إلا بمزيد من تكريره وتوكيد الثقة به ؛ وعهدت إليه برياسة بحث آخر أخطر من سابقه شأنًا ..

محمد عزت عرفه

(البقية في العدد المقبل)

ولم يتسل بيرنج إلا بعد انقضاء عامين كاملين فقد خلالها ثمانية عشر من رحاله .

وكان بيرنج قد أنجز في هذه المرة تشييد أول « قنائه » ذى فرشونا « وانتقل فيها مع رحاله » خازنه ومعداته إلى بولشيريتسك : Bolsheretsk في شبه جزيرة كامتشاتكا . وهناك أنشأ سفينة الثانية « حبرائيل » ، فاستنفذ بذلك ثلاث سنوات وخمسة شهور في عمل مشق وكفاح متواصل قبل أن يتبين له القيام بجيمته الرئيسية .. وهي التقصى عن خبر آسيا ومبتداً أمريكا ..

هزه آسيا .. فأين أمريكا ؟

في العاشر من يوليو سنة ١٧٢٨ أنجز بيرنج من كامتشاتكا ميمماً صوب الشمال ؛ والتقى في إحدى الجزائر المأهولة بمن أفضى إليه من سكانها بحثاً عن شفته . فقد علم أن الساحل الآسيوى بعد امتداده نحو الشمال قليلاً ينحرف إلى الغرب . وبذلك تمثلت لديه أول فكرة عن انقطاع آسيا في هذا الموضع واحتمال قيام أمريكا بإزائها . ومربرج أثناء ذلك بجريدة كبيرة أمتاها ست ورس ، احتفالاً بذكرى القديس الذى اكتشفها يوم عيده . وفي السادس والعشرين من أغسطس طاف حول رأس « إيست كيب » الواقع في أقصى الطرف الشمالى الشرقى من آسيا ؛ وتحقق لديه يومئذ

وزارة التجارة والصناعة

مصلحة المناجم والمحاجر

تقبل المصلحة عطاءات داخل
مظروفات مختومة عن بيع حوالى ٣ طن
من معدن الفلورسبار مخزونة الآن بمنجم
العجلة بالصحرى الشرقية

ويمكن الحصول على شروط هذا
البيع من مخازن المصلحة بالقاهرة مقابل
بلغ ٥٠ ملياً عن كل نسخة على أن تقدم
الطلبات على عرصفال ثمنه فئة ثلاثين ملياً .
وآخر ميعاد لقبول العطاءات في هذه

الزيادة هو ظهر يوم ١٣ يونيه سنة

٣٥١٨

١٩٤٥

سلي والعبيط

وبحى

هي قصة اليوم

قصة النفس الحائرة

قصة الأديب الشقي السعيد

قصة الحياة كما هي

قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر ٢٧٢ صفحة

ثمنها ٢٥ قرشاً - تولى نشرها المؤلف

تطلب من : مكتبة المعارف ، والنهضة ، والانجليز ، والأهلية ،
والتجارية ، وغيرها .

المؤلف : الياس عكارى ١٧ شارع نژاد الأول القاهرة

تليفون ٤٣٩٠٩

كما أن هناك مجلداً ضخماً عن تاريخ الأولياء وطبقات الفقهاء في بلاد اليمن ، إلى جانب سير الصحابة والمدائح النبوية .

ذلك إلى أننا نجد كثيراً من الكتب الزيدية بأقلام أتباع المذهب الخامس كما يسمى الزيدية مذهبهم ، كما نجد كمية عظيمة من الكتب الفقهية الشافعية ، وتنقسم البلاد جغرافياً إلى قسمين : اليمن الأعلى واليمن الأسفل ، ويتبع الانقسام المذهبي ذلك الانقسام الجغرافي على وجه التقريب . ويمكن أن تسمى صنعاء الحاضرة الثقافية للزيدية ، على حين أن زيد ، وترجم ، وغيرها من المدن الجنوبية ذات المعاهد العلمية التي أنشأها أو أحيائها الأمراء الرسوليون ، ما زالت مراکز لفقه المذهب الشافعي .

ومن أنصح الأدلة على أهمية البلاد من حيث هي مركز ثقافي في العصور الوسطى أن السلطان الملك الأشرف دعا العالم اللغوي الشهير الفيروز آبادي للإقامة هناك في نهاية القرن الثامن الهجري ، ثم عينه بعد ذلك قاضياً للقضاة . ومعظم الكتب العلمية التي ألّف في العصور الوسطى ، من طراز كتاب « شمس العلوم » لنشوان الحميري ، هي نتاج لدراسة سنية صحيحة وإن كانت خالية من الابتكار . وعلى ذكر هذا الكتاب نقول : إن إمام اليمن كان يأمل أن ينشره بجميع أجزائه ، بل إنه رغب في الأمر المرحوم الملك فؤاد ، وقد عين وقت للنشر ، بل إنه صدر إعلان عن ذلك النشر ، ولكن واحسرتاه ، لم يظهر الكتاب حتى الآن . ويمكننا أن نقول بصفة عامة إنه يبدو أن اليمن في العصور الوسطى ، على الرغم من الطابع الخاص الذي امتازت به مؤلفاتها ، لم تنخفض عن حركات أدبية مبتكرة أو ذات نباهة عظيمة . ولعل خير ما يوضح لنا اتجاه الناس نحو العلم ، من حيث هو إجلال واحتفاظ للمعلومات ، هو البيت الآتي الذي قاله شاعر منمور وأنشدنيه أحد أصدقائي :

العلم يعلى بيوتاً لا أساس لها والجهل يذني بيوت العز والشرف
وبما أن اليمن اليوم بلاد ما زالت إلى حد كبير في العصور الوسطى ، تتحرك الهويّة نحو الحياة المصرية السائدة في سائر العالم ، لم يكن هناك بدمن أننا نجد ما ينشر فيها اليوم من الكتب يشبه كثيراً في طابعه تلك الكتب التي أخرجتها في العصور الوسطى .

ويستغل بجمع هذه المخطوطات في اليمن سيف الإسلام عبد الله المشهور بولمه بشئون التربة . وقد سمعت من يجزني بأن مصاحف بالخط الكوفي القديم كانت لا تزال تستعمل في القرى النائية حتى عهد غير بعيد . وربما أحل انتشار المطبوعات مصاحف مطبوعة محل تلك المخطوطات ، فاليمن اليوم تتطور تطوراً ربما كان أعظم من أي تطور شاهده في خلال عدة قرون مضت .

أنواع الأدب الضرب السائرة في الجنوب الغربي لجزيرة العرب

يحتج الأدب في الجنوب الغربي لجزيرة العرب ، بصفة عامة ، إلى نواح ملموسة ما تزال واضحة في كتابات العصر الحاضر ، وخاصة فيما يتعلق بأغراض الأدب أو موضوعات الكتابة . وأقدم الكتب التي خلفها كتاب هذه البلاد في الماضي هي في الغالب دواوين شعر هوفي كثير من الأحيان شعر ديني ذو نزعة صوفية . وقد قام لويس شيخو بدراسة فيها شيء من التفصيل للشعراء النصارى القدامى في تلك المنطقة . وأشهر المنظومات غير الدينية ، وأصلحها تمثيلاً لغيرها ، هي « القصيدة الحميرية » لنشوان بن سعيد ، وفيها يتحدث الشاعر عن افتخاره بالتراث الموروث في العلم والعزة والسلطان . ومن ذلك قوله :

وملوك حمير ، ألب ملك ، أصبحوا

في الترب رهمن مفاخ وضراح
آثارهم في الأرض تخبرنا بهم ، والكتب من سير تقص صحاح
أنسابهم فيها تبين ، وذكرهم في الطيب مثل العنبر الفياح
ملكوا المشارق والمغرب ، واحتوا

ما بين أنقرة ونجد الجاح
ملكتم عمود وعادا الأولى معاً منهم ملوك لم تكن بشحاح
وكان للمؤلفات التاريخية دائماً ازدهار وخاصة في العصر الرسولي حينما كانت زيد مركزاً لحركة أدبية منتعشة . ونكاد نكون في غنى عن التنويه بأمثال هؤلاء المؤلفين أو هذه الكتب : عمارة الخزرجي ، والجندي ثم توارى صنعاء والنز . وكان من الطبيعي ، في بلاد تقوم فيها الحياة على نظم القبائل ، أن يشغل علم الأنساب بال مؤلفين ، وقد كتب فيه السلطان الملك الأفضل ،

الطباعة والطبوعات في اليمن

العلماء والمتعلمين» وهو يبحث في آداب المعلمين والطلاب ، ويبحث هذا الكتاب كذلك في طريقة الخط ونسخ المخطوطات . وحسبنا في أنه روى أن هذا الكتاب يستأهل الطبع دليلاً على نوع التربية التي ما زالت سائدة هناك ، فإن البلاد التي أخذت بنصيب أوفر في التقدم لا ترى في مثل هذا الكتاب ما يزيد كثيراً على قيمته التاريخية من حيث هو أثر من الآثار . وبانقطاع علماء اليمن عن الاتصال المباشر بسلطان البلاد العربية ، بموامل البيئة الجغرافية والاعتبارات المذهبية ، أصبحوا على غير شاكله العلماء في البلاد الأخرى .

على أن مطبعتي صنعاء أخرجتا عدة كتب فيها روح جديدة ، فهناك كتابان في الفنون الحربية ، وكتاب في الزراعة . وقد ظهر الكتابان الحزبان في سنتي ١٣٤١ و ١٣٥١ هـ . واسم أولهما « كتاب التربية العسكرية » ، ومؤلفه هو حسن تحمين باشا ، وهو رجل سوري كان في وقت من الأوقات قائداً للجيش الهاشمي . وبين سنتي ١٩٣١ و ١٩٣٣ م كان هذا الضابط في اليمن يمد تنظيم جيش الإمام ، والقواعد التي وضعها في هذا الكتاب تدل على درجة أعلى في تنظيم الجيش مما هو قائم الآن ، ولكنها تؤمل بحسنه وقت تتحسن فيه الإدارة الحربية .

أما كتاب « رسالة في فن زراعة الأشجار المثمرة » فكان من تأليف أحمد واصف بك ، المستشار الزراعي في الحقبة التي في سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ م . ويعالج الكتاب ، كما يدل عليه عنوانه ، موضوع زراعة الفواكه واستخدام الوسائل الزراعية . وكان الأتراك في مدة احتلالهم لليمن قد قاموا بتجارب متقطعة في إدخال محاصيل جديدة في البلاد ، وقد احتذى البيت المالك حذوهم في القيام بتجارب أخرى من جانبه ، وعلى الأخص في زراعة القطن . ولا شك أننا سنرى في المستقبل الكثير من هذه الطبوعات الفنية والعلمية .

ومن المعلوم أن كثيراً من المؤلفات القيمة بأقلام بعض اليمنيين قد ظهرت في القاهرة حيث تقطن جالية يمنية . ومن بين هذه الطبوعات الكتب الثلاثة التي ألّفها عبد الواسع ، والتي تناول فيها التاريخ والجغرافية والشئون العامة التي تشرق القارى . ونحن

في صنعاء اليوم مطبعتان ، إحداها في القصر الملكي السمي « مقام الإمام » أو « المقام الشريف » . وهي هناك منذ العهد التركي ، وكانت تستعمل في طبع الجريدة « صنعاء » التي سنتحدث عنها فيما بعد . ومع أن هذه الطبعة كانت على ما يظهر تطبع بعض الكتب الصغيرة في الحين بعد الحين ، ليس لدينا بيان عن مبلغ ما أخرجته من المطبوعات . والمطبعة الأخرى ملك لإدارة المعارف . وفي خلال العشرين سنة الماضية طبعت هاتان المطبعتان عدداً محدوداً من الكتب ، ربما لا يتجاوز الثلاثين عدداً ؛ ومن المرجح أن قليلاً من تلك الكتب خرج خارج البلاد نفسها . وتدل موضوعات تلك الكتب على مبلغ اشتغال الناس بالشئون الدينية ، مما تمتاز به المنطقة الجنوبية لجزيرة العرب ، وتشجعه حكومة إمام اليمن . وتشتمل الكتب المطبوعة هناك على بحوث قرآنية ، ورسائل في مذهب الزيدية ، والفقه ، والحديث وما إلى ذلك ، وهي في الغالب طبعات لكتب قديمة من كتب المؤلفين السابقين .

وفي العلوم المدنية شغلت إدارة المعارف نفسها بجمع مواد لإخراج كتاب في تاريخ اليمن يمكن استخدامه في المدارس كتاباً مدرسياً . وقبل إعلان هذه الحرب كان تحت الطبع كتاب في تاريخ الإمام يحيى . وقد بلغ من ارتباط الأسرة الزيدية بالمملكة بلاد اليمن وما جرى لها ، سواء في طول المدة أو وثاقة العلة ، ما جعل هذين الكتائين على شاكلتهما ضرباً من العناية للأسرة الحاكمة . ومن المرجح أن ذلك سيساعد على خلق روح القومية في البلاد . ومما يشغل بال حكام اليمن اليوم التربية والكتب المدرسية ، وهي مشكلة من المحتمل أن تزداد إلحاحاً على مرور الأيام . فأطفال المدارس الأولية مثلاً قلما يستعملون كتباً مطبوعة ، وإن كانت مدارس صنعاء تستعمل إلى حد ما كتاب « القاعدة البغدادية » ليعسى البابي الحلبي ، كما أن لدى إدارة المعارف مجموعة صغيرة من الطبوعات المدرسية . وفي « المدرسة العلمية » يكاد الطلاب لا يعملون سوى المخطوطات التي ينسخونها بأنفسهم . وطبع كتاب في قواعد اللغة أو علم النحو ، وكذلك كتاب مؤلف في القرن الماشر اسمه « كتاب

أن الموسيقى محظورة في اليمن إذا استثنينا جوقات الموسيقى الحربية ، وهذا الكتيب ينادى بنظرة تسامحية في شأن الموسيقى .

وقد نشر محرر فتاة الجزيرة عدة كتيبات أخرى شائعة ، على أن عدداً منها — كما هو الشأن في مطبوعات مطبعة صنعاء —

يتناول التاريخ ، والبحوث الدينية ، وسير العالخين ، ككتاب « سلالة قحطان » ، تأليف محمد سعيد الأصبحي . وأهم ما نشر

من الوجهة الصحافية هو سلسلة مقالات كتبها أعضاء النادي المعروف باسم « أفلام الخيم » ، وهي مقالات تتناول موضوعات

شتى ، مثل الكشافة ، والمذابح (فإن عدن لها عطلتها الإذاعية الخاصة «صوت الجزيرة» وهي كذلك تنشر صفحة عن إذاعتها) ،

وحياة صيادي السمك على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب ؛ وكل هذه البحوث كتبت بأسلوب تقدي علمي . وقد أخبرني محرر

فتاة الجزيرة ، في رسالة بعث إلى بها حديثاً ، أن هناك كثيراً من اليمنيين في عدن يرغبون في نشر كتب ألفوها ، وفي هذا

دليل على مبلغ العناية التي ينالها الأدب في هذه المنطقة من العالم العربي . ولا يسعنا إلا أن نتوه بنهاية الحالية الهندية المسلمة في عدن

بالأدب العربي ، ولا سيما عبد الله يعقوب خان الذي هو حجة في تاريخ نقر عدن ، والذي نشر كتباً عن جغرافيته وأمثاله . وقد

ورد ذكر الهنود القاطنين بالشر قبل زمن أبي مخزومة الذي يشير في كتابه « تاريخ نقر عدن » عدة مرات إلى نشاطهم التجاري .

وخليق بالقراء الذين أخذوا من الحضارة بنصيب أوفى ، من أهل مصر وسورية اللتين مضى على قيام النهضة العربية فيهما عهد

طويل — خليق بهؤلاء القراء ألا يقتدوا هذه الطبوعات نقداً حديثاً على وفق المقاييس العالية للإنتاج الأدبي السائد في بلادهم ؛

بل عليهم أن يعدوها نواة الإنتاج الأدبي الذي تقدمه بلاد الجنوب العربي لجزيرة العرب إلى الثقافة العربية . ولنتذكر أن جميعيات

الناظرة التي من طراز « نادي الخيم » كانت ذات أثر فعال في القرن الماضي في قيام النهضة الثقافية العربية في سورية ؛ ونحن

نرى اليوم في عدن عوامل التقدم هذه تخلف آثارها .

(البقية في العدد القادم) عن مجلة الأدب والفن الإنجليزية

نأمل أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه هؤلاء المؤلفون اليمنيون أن ينشروا مؤلفاتهم في وطنهم . وسنرى أن معظم المؤلفات التي تنشر اليوم عن الجنوب الغربي لجزيرة العرب إنما تنشر في مصر ، أو الهند ، أو جزائر الهند الشرقية .

همم وطموح الحركة الحديثة

تختلف عدن اختلافاً عظيماً عن اليمن وعربتها الجذابة التي خلفتها في القرون الوسطى ، بما فيها من الجبر العالمي الذي يستمد من مائة سنة كانت فيها عدن على اتصال مباشر بالبلاد الأوربية ، وبمصر ، والهند ؛ وبمدارسها الثانوية للبنين والبنات ؛ ويعلم في مدارس البنين معلمون من البلاد العربية الأخرى كسورية ، وأحياناً من الهند ؛ وبالعدد المتزايد الذي ترسله من أبنائها إلى جامعات القاهرة وبغداد . ويطلع الأهالي الجرائد المصرية الشهيرة ، بل إنني كثيراً ما رأيت كذلك روايات مصرية في أيدي المتعلمين في المدارس الثانوية من أهل عدن . ومما لا شك فيه أن الجالية السورية المؤلفة من مستوردي المسوجات والتجار تستورد كذلك الجرائد السورية ، وما نعهده في السوريين وميلهم للاشتغال بالصحافة يدعو إلى الظن بأنه في يوم من الأيام قد يقوم أحد السوريين بنشر جريدة في عدن . وليس هناك مفر من أن الصحافة تنتشر في مثل ذلك الجو ، وتصدر جريدة « فتاة الجزيرة » منذ أواخر سنة ١٩٣٩ . وكان في عدن قبل سنة ١٩١٤ ثلاث مطابع ، وكانت إحداها في السجن وربما كانت تقتصر على طبع الطبوعات الحكومية . وليس من المعروف مدى ما نشرته المطبعتان الأخريان من الكتب العربية ، ولم أستطع أن أعثر على أي مطبوع عربي صادر عنهما . على أنه قبل الحرب الحاضرة أخرجت مطبعة الهلال في بازار بهرة — وهي تطبع بكل من اللغتين العربية والإنكليزية — مجموعة شعرية وصلت إلى يدي ، وهي ديوان لأغاني لحج على أوزان بحور الشعر القديمة والبحور المولدة ، من نظم الأمير فضل بن علي . وقد أعيد طبع هذا الديوان في مطبعة فتاة الجزيرة ؛ وقد طبعت هذه الطبعة أيضاً رسالة في إباحة العود والرباب لنفس المؤلف المذكور . ولعل القراء يذكرون

مول مقال الأستاذ الطنطاوى

الموسيقى والأغاني الحديثة

للأديب سهيل إدريس

—»»»»»—

وإن في روائع الفن الغربى ، تقطعاً قد يكون إعجاب الشرق بها
متمدياً إعجاب الغربى ، سواء كان ذلك فى الموسيقى أو الرسم
أو الحت أو غير ذلك من الفنون ؛ وكذلك القول فى الفن الشرقى
بالنسبة إلى الغربيين وأغنى نفسى من التمثيل لذلك . فإت هذا
الأمر من البدهاهة بحيث لا يفتقر إلى إعاء ، بله كنسرخ وتمثيل !
وإنما تعجب بفن الغربيين ، ويمجبون هم بيمض فننا لأن الفن
عالى ، هذا ما لا شك فيه .

ثم كيف يزعم الأستاذ الطنطاوى أننا لا نطرب لنناء الإفريج ،
وأنا « لن » نطربهم بفنائنا ؟ هل نجد اليوم شاباً فى جميع بلدان
الشرق الأوسط لا يحفظ من الأغاني الغربية هذه الأغاني :
" Kiss my " و " J'attenderai toujours, ton retour "
و " Balalaika " و " again " ، ومن الذى لا يهوى سماع السمفونيات
والتانجوات وغيرها ؟ ومن منا لا يطرب اليوم للموسيقى الغربية ؟
من منا لا يحب تبهوفن وباخ ؟ وهل للقطع الموسيقية التى يحفظها
الشرقيون من الغرب عد أو حصر ؟ ليست القضية قضية موسيقى
غربية أو شرقية ، وإنما قضية موسيقى تؤثر فى النفس وتلـس
أوتار القلوب ؛ وفى الشرق والغرب من هذه الموسيقى الشىء
الكثير ! أما أنا لن نطرب الإفريج بفنائنا ، فليس ذلك عائداً إلى
أن غناءنا — ولا سيما الحديث منه — ليس بالغناء الجميل ، وإنما
لتقصير فى وسائل بث هذا الغناء ونشره والى غاية له فى أوروبا ، كما
يفعل الغربيون بفنونهم . ولكن الأمر الذى يظل موضع النظر ،
هو الأغاني « المحلية » البحت ، التى لا يستيفها عادة إلا أقوام
وعشائر معينة لا يمثلون أمة بكاملها أو شعباً بكامله . والواقع يدل
اليوم على أن هذه الأغاني ليس لها من الشيوع مثل ما للأغاني
غير المحلية . وقليلون هم الذين يؤثرون الأولى على الأخرى . وهذا
راجع — فى اعتقادنا — إلى أن الأغاني المحلية تنصف بالرتابة
والترديد الباعث على الملل ، وإلى أن لها « جوها » الخاص ، وأن
ليس لها نفس الحلاوة والجمال فى جو غيره . وقد يكون من
الصحيح أن الأغاني المحلية ستندثر يوماً ما بداعى التطور .

... وأخيراً ... عاد الأستاذ الطنطاوى إلى روض الأدب ،
بعد أن انقطع عن ارتياده حيناً من الزمن طويلاً ، حسبنا معه أنه
هجره إلى غير عودة ، وذهب بنا الظن « أن الحرفة قد طفت عليه »
فصرفته عن الأدب ... أما وقد رجع ، فنرجو أن يواصل المسير ،
وأن يتبع الركب ، فلا ريب أنه قد تخلف عنه ، ولعله لا يفوته
بَعْدُ ! ...

أقول هذا بعد أن قرأت مقال أستاذنا الطنطاوى^(١) (الذى
حبب إلينا هذا البلاء الذى نمر به والذى يدعونه الأدب فبتنا
من طلابه ...) عن الموسيقى القديمة والموسيقى الحديثة ، وعمما
تبعتها الأولى فى نفسه من سحر وفتنة ، والثانية من اشتمزاز وبغضاء
لها ولرجالها . ثم يقول « فلن كان العلم عالياً لا جنس له ولا وطن ،
فالفن لعمر الفن ما كان عالياً ولن يكون . حاولوا أن تطربوا الإفريج
بفنائكم ؛ إنكم لن تطربوهم ولا تطربون أنتم لفنائهم ، ولكن منا
من يستشعر قوتهم وضعفنا ، فيخادع نفسه رياء وتقليداً ... »
ويتابع الأستاذ مخاطباً الموسيقيين فى بلادنا « ألم تدركوا أن أذواق
الناس لا تنشرح إلا للشرق الأصيل ... ما لنا وللجندول وأهل
الجندول ، ما لنا ولأنغام الإفريج التى لا طعم لها فى حلقنا ؟ »

أما أن يدعى الأستاذ أن العلم وحده عالى ، وليس الفن
كذلك فهذا يدع من القول ، بل الحقيقة أن الفن
أكثر عالىة من العلم لأنه أقرب إلى نفوس الجميع ، وأدنى إلى
التذوق والفهم ، وأبلغ تأثيراً فى الإحساس ، من العلم . وللقطعة
الفنية الرائعة جمال ورونق فى كل عين ، وأثر إعجاب فى كل نفس

الموسيقين القدماء . ونحن في الحق نتمتع — في نهضتنا الموسيقية الحاضرة — على عبد الوهاب والسنباطي والتصبيحي ومن بعدهم على فريد غسن ، وفريد الأطرش ، وعبد العزيز محمود ، وغيرهم كثير .

وإن الدعوة التي يدعو إليها الأستاذ الطنطاوي لدعوة بضرة بالموسيقى والفناء الحديث إن هي اتبعت ، ونحالفها لن تتبع . هذا وإن الفناء الحديث قد ارتقى — في اعتقادنا — ارتقاء كبيراً بالنسبة للفناء القديم ، إذ أنه خلا من التردد والتعطيل ، فليس اليوم من ممن يسلخ خمس دقائق في أداء « آه ... » تتبعه الجوقة فينقلب الفناء إلى جو من النعيب ! كما أن الفناء الحديث أصبح أرشقى أداء وأرق لفظاً وأحيا روحاً من الفناء القديم . وإنى أرى فيما اتهم به الأستاذ الطنطاوي الطربين المحدثين — جميعاً ! ... — شيئاً من التعسف . وإليه على كل حال تحيتي الصادقة والسلام .

سهريل إدريس

« بيروت »

وظاهر من مقال الأستاذ الطنطاوي أنه يؤثر هذا اللون من الفناء على غيره . فهي إذن هواية خاصة لا تبرر له أن يُعرى ألوان الفناء الأخرى من القيمة أو من الجمال . وما دام الأستاذ قد ذكر الجندول في معرض الإسكار أو الكراهية ، فلا بأس هنا من أن نساخله القول : فليس من ريب في أن فن الأستاذ عبد الوهاب قد سجل تحولاً جديداً في الموسيقى العربية الحديثة يوم غنى الجندول من تلحينه ، ولا اذكر أن أحداً من رجال الفن أو الأدب أو السياسة أو حتى الفلسفة ... وقف من هذه الأغنية الموقف الذي يقفه الأستاذ الطنطاوي اليوم ! ولو أنه استشهد بغيرها من أغاني المطرب المعروف لكان الخطأ أبصر ! ذلك أن هذه الأغنية أروع ما أنشد عبد الوهاب ، ولن تناسك أمامه أية أغنية من أغانيه أو أغاني غيره في معرض التآثر . ذلك أنه بلغ غاية التوفيق في تلحينها : في اقتباس بعض مادتها من موسيقى الإفرينج وإضفاء الروح الشرقية الحائلة على ألقاطها ومعانيها . ولو أنه اجترأ بأحد هذين المصنفين لحب ، لعريت الجندول من قسط كبير من روعتها .

وقبصارى ما أود قوله في هذا المصنف — ولو أني أعتمد فقط على تذوق للموسيقى دون أن أكون من رجالها — أن تلقح الأنغام العربية بالموسيقى الأوروبية برفع من شأن موسيقانا الحديثة إلى حد بعيد . فحبنا من تلك الأدوار القديمة التي بليت ، وكفانا ذلك التردد الرتيب والتديد الملل للكلمات بل للأحرف ، وقد شبعنا كلَّ الشبع من أدوار صالح عبد الحى وعزير عثمان وعبد الله الخولى وأضرابهم ! ...

ويظهر أن الموسيقيين المصريين قد اذركوا في المدة الأخيرة أن التقيد بالقديم من الألحان مؤخر النهضة الفنية ، وصاروا الجليل الجديد عن القديم ، فإذا هم يمدون إلى ألحان يستحدثونها أو يقبسونها من الأنغام الأوروبية ، فيسيرون في هذا المصنف شوطاً بعيداً . ولا سبيل اليوم لأحد أن ينكر أن الهواة وغير الهواة من المستمعين يؤثرون ألحان عبد الوهاب على غيره من

صبري الفارسي

الكتب الآتية

ضرورة لثقافة فكريك ولسانك

وحى الرسالة : لمؤلفه أحمد حسن الزيات ٤٠

آلام فرار : ٤٠

رفائيل : ٤٠

اطلبها من إدارة « الرسالة »

ومن الكاتب الشهيرة

نشيد الزورق

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي



« ربان هذا الزورق شاعر عاش في دنياه طويلا ،
بين الماء والنساء ، ويوشك أن يعيش في دنيا الناس بعد
أن رسا زورقه وركدت من تحته الأمواج » .

والتقي بها قيل عزف الشيد فنام بها الورق الناعم
وسلّسل فيها نشيد السماء سنى حاطف وندى ساحم

فيا شاعرا عاف قيثاره فزورقه موحش سامح
لقد كان يلهم أوتارها وينطقها روحه الهام
أيلهاو زورقه بسدها أماشاقه عهدا الناعم ؟

رسا زورق ، هل رسا واطمانا ؟

وقد حدأ الليل طيرا وغصنا
وداعبه الموج في الضفتين وسبح في الشط نايًا ولحنا
أبحيا هنا خشبا جامدا وقد عاش بالأمس روحا وفدا !
لقد حادته رياح العشي فهل ستظل سلاما وأما ؟
أقام هنا كالطريد السليم وفم إييه الطريد المني
طريدان سارا النهار الطويل إلى أن مضى نوره واستكما
خفا ضلال الطريق البعيد وناما بلبلهما حين جنا ...
فن كنت يا زورق ها هنا ؟ وقد سكن الكون حساومنى ؟

رسا زورق غارقا في الظلام وقد نرد النجم فوق النهم
ونامت على الشط أمواجه فأقفر من روجها السهام
أتنفسو وقد شاقه صوها أما ستمت طول هذا المقام ؟
أما شاقها زورق ساجحا فتجبرى به سبعة للأمام ؟

لقد أوشك الليل أن ينجل وتهتف أطياره بالنيام
دع الليل والموج يا زورق وجدف على موجة من هيام
بدا السور في الأفق فاسبح له فإني ستمت حياة الظلام
ظمئت إلى الفجر يا زورق أما أن لي أن أندى أواى ؟

رسا زورق عند فجر سنى فعلاخه بالشعاع الندى
وأطلق صدأحه هاتفا يرحب بالزورق المبقرى
فوم مستلهما سره ورفرف فوق الجبين الوصى

هنا شاعر ساجح في رؤى بجنحة في خيال سرى
توسد زورقه مضجعا وأغنى على صدره كالصبي
فأيقظته الطير من حليمه وغناء لحن النشيد الشجى

رسا زورق وطويت الشراعا وكففت فيه الندى والشعاعا
وعدت إلى شاطئ ساجرا أرد الليلي ممرت سراجا
هنا كان لي أمل ... أين ولى ؟ هنا كان لي أمل ... أين ضاعا
ذوى أمل في ربيع النى وما خيلت يا «أمل» أن تراعا
فقدتك يا «أمل» جدولا تدفق لحنا بسمى مشعاعا
ترف على جانبيك المني فتاء يفيض هوى واندفاعا
عرفت النى شاعرا ملهما وخلفتني لا أجيد السماعا
أكاد أشوّه هذا الشيد وأنكر في أصمى النبراعا

رسا زورق فوق صخر رهيب

بطلع سر الزمان العجيب
كنت فجره سمات الضحى ولف الصباح شعاع الغروب
سرى فوق أمواجه العائيات بهدى النى وخطو المرب
تولول في جانبيه الرياح مقدفة من وراء القيوب
مضى الزمان الحلو فوق الباب ولاذ التريب بشط غريب
فلا طأرى غرد بالشيد ولا زورق أهل بالحبيب
فيا ليلة جمعتنا هنا على زورق ، هل لنا أن تؤوبى ؟
ويا زورق أن أن نترجم

فلا الخمر خمري ، ولا الكوب كوبى

رسا زورق وصحا الحالم وثاب إلى رشده الآثم
وغادر حاتته مثلنا بفادر مخدعه النائم
ودع قيسار مثلنا بدع رشتته الرأس

لقاء...

للأستاذ إدوار حنا سعد



ترفق قد هزت كياني وخطري عواطف من فرح بقلبك غامر
أنت أم الأطياف في موكب التي
لقد كدت من سحراً كذب ناظري
تعايت دموعي في نواك على الأسى
فكيف استجابت للسرور المبكر
نسيم سماوي الجنى لم تطف به
خوافي أحلامي وطير خواطري
ولو كنت في الأحلام شاهدت صفوه

لما جن في سدرى هتاف البشائر
فقد تنقص الأحلام من فرحة اللقاء
إذا هي أبدتها بشي المظاهر
طلعت كواحات الأمانى ليائس
وكالأم في واد عصوف القادر
وكالضفة الخضراء لاحت لطائر
لحيف الظما دأى الجناح مسافر
وكالمجد ألقى للطموح عنانه
سنى المجانى لؤلؤى الأزاهر
وكالبرء للمانى... وكالتوم للذى
يؤرقه ركب الطيوف العواير
وكالميد للطفل الترى... وكالسناء لمار...
وكالطفل الجنين لماقر
فأوشك أن يطنى سرورى وأن أرى

هتوفاً بأفراحي العذارى الزواهر

لكى يعلم الحساد أية نعمة
تشوفها أسمى وضامت بحاضرى
توالى خفوق القلب بقلبك ثاراً

كطبل زنوج الغاب في عيد ساحر
تراقب عيني فيك أحور فانتاً
وتسمع أذنى منك ترتيل شاعر
وألهم في مفاك شتى فواكه
وأنشق من رباك عطر مجامر
لقد حسدت بعض الجوارح بعضها

على رغم ودّ تالك وأواصر
قسمت حظوظاً بينها فأثرتها
شواجر أطماع بدت لشواجر

إدوار حنا سعد

الاسكندرية

وانجفَل من ياي عاطلاً
كما يجفَل النور عند المَشْيِ
غدا زورقي ها هنا مبدأ
بضم حطام الشهيد الوفي

رسا زورقي بعد عصف الرياح
وعادَ إلى عُشِّه طائري
شدّاً في النصوص فأنكرته
حفاً الروض شاديه الصقري
حنانك يا طائري لا ترع
لئن رمت بك تلك النصوص
قلّم بعد الزهر ملك الطيور
سراحك؛ حسبك أن يطفوه

رسا زورقي في الصباح الحزين
وغبت عن الكون في رحلتي
فن عالم من بناء الزمان
سمنت خداع التراب المهيّن
عولمها أطلقتني سجيناً
على قبة الدهر بات قيودى
وما راعنى غير تهويمية

تطيل مع الصباح خلف الدُّجون
تلفت أبحت عن زورقي
فألفت مجذافه في يميني

رسا زورقي في انبثاق الضُّحى
وللشمس في الأفق أن تتلى
وللنصن أن يرتوى بالتدى
وللروض أن يستفز الطيور
وللزهر أن ينفج الحالين

بدا الكون يا زورقي فانتاً
أطلت الوقوف هنا مستكيناً
جرى الوج ركض في شطه

أحمد عبد المجيد الغزالي



إلى الأستاذ حبيب الزملزلي

قرأت في عدد الرسالة ٦١٧ كلمة موجهة إليك بتوقيع شريف الفيج الدكتور في الفلسفة ، وأنا حامل هذا الاسم وذلك اللقب أبرأ إلى الله مما جاء في هذه الكلمة الرقيقة ، ولست آسف كثيراً على هذا المجهول الذي رزع كلمة من هنا وكلمة من هناك ووقف على منبر في الخفاء ليعطى الإرشادات الفنية بشكل رسالة للفن السامع ، ويخاف من نشاط الفرائز غير المهدبة في الإنسان ، ويخشى أن يستعمل الأديب في النقد مبضعه بلا رحمة ولا هوادة . ويتوقع أن يقف الأديب والناقد في حلبة صراع يجلب غمر القراء ولزعم وقهقهتهم . وكأنه يندب حظ الأدب إذا تلطخ بالمهارات الكلامية والتراشق بالألفاظ غير المهدبة .

ومحن القراء في هذا البلد « فلسطين » لا تزال ناعم وتمتع بما تجود به الأفلام المصرية علينا لنغذي نفوسنا كما كانت مصر الشعبية تملأ غرائزنا في المجاعات المالية التاريخية .

لقد دل هذا الكاتب القمع من تزييف توقيمي على أن إرشاداته للأدب والأديب كاذبة ، وأنا معذور إذا لم تتولد في روعي الحرارة الكافية للرد عليه ، لا لأنه أساء إلى الناقد الأديب السيد حبيب زحلاوي ، ولا لأنه أساء إلى القراء بقصة بهلوانية ، ولا أساء إلى بلاده بعملية التزوير ، بل لأنه كأولاد الشوارع الذين يرشقون السيارات بالحجارة ولا يسع صاحب السيارة إلا أن يشتم أهل البلد الذي وقع فيه الحادث ، ولكن المذنب في الحادث فرد مجهول .

قيل لي إن الذي مثل هذه الرواية شاب خليع ليس بالكاتب ولا بالأديب ولكنه يقول الشعر الجارح لا من قريحته بل من جمعه للقبواي المختلفة وقيامها بخيط طوله مملوم عنده ، فإذا جاءت قياساتها متناسبة وقوافيها على نغم واحد

أخرجها قصيدة شتامة لرفاقه . ولقد كسدت بضاعته أو ربما أضاع الخيط الذي يقيس به فانتقل إلى صناعة النثر وبدأ باستمارة الأسماء ، وواجبي تجاه هذه المجلة العظيمة أن أعتذر للسيد حبيب زحلاوي عن هذا الراعظ المجهول ، وأعتذر لصاحب الرسالة عن ذلك الصبي الذي يرشق سيارات الناس فيسيء إلى سمعة بلده ، وأعترف أنني لا أملك القدرة لمعالجة هذه الثلمة الأخلاقية بدرس ألقيه في الرسالة فأترك ذلك إليكم والسلام عليكم ورحمة الله .

(مؤلكرم - فلسطين) شريف الفيج

كتاب « التصوير الفني في القرائه »

كتاب طيب جديد في بابيه ، يشق لنفسه طريقاً إلى نفسك ، ويحل عندك محله اللائق به من إعجاب به ، وتقدير لما بذل صاحبه في وضعه من جهد ، وما صاف من توفيق ، حتى جاء شاهداً لصاحبه بأنه كما قال الأديب عبد المنعم خلاف في الرسالة « شاعر أثر ناقد ، زاول الشعر والنثر والقد ، ونجح في ذلك كله كثيراً من النجاح » وحتى جاء شاهداً لنفسه - كما قال ذلك الأستاذ الأديب - « بأن له الموضع اللائق به من مكتبة القرآن ، ومكتبة بحوث البلاغة ، ومكتبة الفن ، ومكتبة البحث » وليس يسع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يحمده لصاحبه عمله ، ويغبطه على نجاحه ، وذلك موقفي من الكتاب وصاحبه .

وإن تكن لنا ملاحظات بعد فهي ملاحظات هينة يسيرة ، لا تنفض من قيمة الكتاب ، ولا تبخس فضل صاحبه ؛ وإنما هي ملاحظات - إن روعيت - تزيد الكتاب حسناً على حسنه ، وكالاً إلى كماله : وإليك هي :-

١ - عني المؤلف بتحليل الآيات عناية مشكورة ؛ ولكنه لم يمن بتحريرها على وجه الصحة ، فتطرق إلى كثير منها الخرم ، كما تسرب إلى بعضها التصحيف ، أو التحريف ، ولو أن ذلك قليل لمان الاعتذار عنه ، وإن شاء تبيان ذلك فليضع المصحف بين يديه ثم ليراجع من كتابه صفحات ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

ما تدل عليه كلمة لولا ، وسيجد نفسه أمام نبي قاطع لوجود الميل والهم من يوسف ، وكفى .

ج - مضى ذلك الرشح الطويل من تاريخ الإسلام وقضية إعجاز القرآن ناهضة تضاهت بجانبها جهود الباحثين ، كما انحطت على سخرتها جهود العائنين ، ولم نر ممن كتبوا وعنوا أنفسهم واحداً يعن على الناس بما قدم لهم ، أو يفرض من شأن سابقه ، وكنت أحب للأستاذ قطب أن يدع للناس تقديره وأن يلحظ ملاحظه الأولون من أنه فوق كل ذي علم عليم ، وأن الأيام ستطلع علينا وعلى الناس بالجديد في كل شيء فلا يغمر الأوائل بالتجهيل أو القصور ونحن لا نبنى إلا من الحصيات نجتمعها من ساحاتهم الواسعة .

د - كان حرياً بالأستاذ سيد قطب وهو مدرك لبلاغة القرآن ومفتون بسحره أن يشأ كل بين مؤلفه وبين الكتاب العزيز فيبدأ بالتسمية ليرتفع به عن غط الروايات وكتب التبليغ التي تقرأ وتلقى لا تقرأ وتقتنى في الموضع الكريم بين الكتب الكريمة .

هـ - وكان جميلاً في النهاية أن يضع للكتاب دليلاً يرشد الناظر فيه إلى موضع كل آية ببيان صفحتها حتى يسهل على من أحب الرجوع إلى آية بينها أن يتعرف مكانها ، دون أن يخالف النظام الشائع ويصب الكتاب صلباً تحت عناوين الفصول فحسب . وبعد - فليقبل الأستاذ ثنائى خالصاً ، وشكرى مضاعفاً ، ولا عدماً مثل هذه الجهود الطيبة النافعة .

عبد اللطيف السبكي
المدرس بكلية الشريعة

الفن والتاريخ في فلم سوزن

أعرف أن من حق الفن أن يدخل على التاريخ ليبحث في وقائمه الحياة ، وليبسط حوادثه ثوباً من الأنافة والطلاقة يحجبها إلى النفوس والقلوب . وليس للفنان القصصى في القصد إلى تاريخ إلا أن يجمع بين الحقيقة التاريخية تحمل أسانيد الواقع وصدق الرواية ، والحقيقة الفنية تلائم بين الحوادث بالانسجام والروعة والجمال .

ولكنى لا أعرف أن يكون من حق الفن أن يمسح ، وأن يجرى بوقائمه على الهوى ، فيغير الزمان والمكان ، ويروّر

ب - أجمه المؤلف في بحثه إلى الناحية البلاغية فحسب ، وبه في غير موضع من كتابه إلى أن الجانب الدينى ليس موضع نظره - وهذا حسن ، ولكنه (على غير قصد منه فيما أرجح) لس الجانب الدين لساً جارحاً حين عرض للآيات في قصة يوسف عليه السلام - صفحة ١١٥ - إذ وصف النبي يوسف - أولاً - بأنه الواعى الحصيف ، وبأنه كان في موقفه من زليخا يحذر مواضع الحرج جميعها ، وهذا لا شيء فيه ؛ غير أنه جعل يوسف أمام المرأة وفي هذا الوقت الأجرى أشبه بشخص عادى (كاد يضعف) لولا أنه كان واعياً حصيفاً يخشى أن تأخذه عين الرقيب مثلاً ، أو يفجأه الزوج ، وقد صدقت فراسة يوسف : إذ تجأه الزوج حين محاولته الإفلات لدى الباب . وهذا تصوير غير فنى لإنسان هياؤه ربه للنبوة ، وكتب له المصمة من قبل ومن بعد . وأظن الأستاذ منساقاً في هذا وراء ما يقال : من أن يوسف إنسان لم تفارقه نوازع البشرية ، فهو يميل كما يميل أى إنسان ، ويكاد يضعف كما يضعف أى إنسان . وأظنه كذلك بحسب الآية في ظاهرها تؤيد هذا إذ قررت أن المرأة همت به ، وأن يوسف هم بها . ويسمح لى الأستاذ أن أنهى إلى أن هذا فهم سطحي غير سديد ، درج عليه غير الدارسين لقواعد اللغة ، والمتساهلون ممن قسروا هذه الآيات .

ولو أنه لم يتابع هؤلاء في فهمهم ، ونظر نظرة استقلالية إلى التمييز لرأى بآى رأى - وهو القوى الإدراك لأسرار القرآن - أن هذا توجيه لا يرضيه ، وأن المقام أسمى من ذلك ، وأن نوازع البشرية في يوسف كانت مكفوفة بالزهادة الدينية على الأقل (فضلاً عن العصمة) على نحو ما ترى وتقرأ عن الأنبياء فضلاً عن الأنبياء ، ولو أن يوسف كاد يضعف وأنه تخرج للحصافة والوعى والحذر لكان الموقف منه أمام الله موقف عتاب ، لا موقف تبرئة وتركية بقوله سبحانه وتعالى (إنه كان من عبادنا المخلصين) .

وفي سياق الآيات وألفاظها المفردة ما يتسع للنظر والوصول إلى ما أبدت . ولولا أن صفحات الرسالة لا تتسع للتطويل لأوضحت : وصاحب الكتاب في غير حاجة منى لأكثر من هذه اللفتة ؛ وحسب أن يراعى الوضع الترتيبى لكلمة - لولا أن رأى برهان ربه - فإن موقعها بين كلمتي همت وهم - وأن يتذكر

ما نقل مشاهد المدينة العاصرة إلى ربوع انصحراء الخالية ، ومثل
مظاهر أهل الحضر ، في مواقع الوب ؟ !

أما الجرعة الثانية فتتصل بشخصيات القصة ، فقد كانت
سلامة على ما يحدث الرواة جارية مولدة ، شاعرة متفقهة ، تقول
الشعر وتجالس العلماء ، فأبى صاحبنا سامحه الله إلا أن يمثلها جارية
من جلب رخيص ، مبتذلة العاطفة والفن ، تننى بلهجة مغربية
غثة في ألحان تافهة كأنها ألحان « زفة العروسة » ، وتماير نازلة
تعلو عليها تماير أولاد القرية وهم في مزارع القطن يشدون
أناشيد « مقاومة الدودة » ، فأنت تسمع فيها « الحب حلو والا
حرّاق » و « سلام الله على الأغنام » و « غنى لى شوى شوى »
وكثيراً من أمثال هذه السخافات . وأين هذا من تلك المقطوعات
الشعرية العاطفية المنسجمة التي كانت تنفيا سلامة ، والتي لو
غنتها أم كلثوم لكانت لها مجداً خالداً في الفن ، يضاف إلى
ما بلغت من مجد .

وجاء « المخرج » — ولا أدري لماذا — بالشاعر عمر بن
أبي ربيعة بين أشخاص القصة ، وهو تزوير آخر على التاريخ ،
إذ لم يعرف أن سلامة التقت به ، وإن كانت هناك رواية تقول
إنها التقت في المدينة بصاحبه ابن أبي عتيق .

وفي صلة سلامة بحبابة وبجميلة ، وفي كل شخص ، وفي
كل مشهد ، تزوير على التاريخ ، وكذب على البيئة ، وخروج
على روح الفن ، وشعوذة رخيصة لم تساغ إلا في منعطقات الطرق
كشاهد « جلا جلا » وحلقات الحواة .

لماذا لا يريح الناس أنفسهم ويريحونا معهم ، بعدم ذكر الفن
والتعلق بهذا الحرم المقدس الذي وضع العلماء له القواعد والأصول ،
والذي يحتاج في مزاولته إلى علم ودراسة وفهم وذوق ..

أنا والله لا ألوم هذا « المخرج » في عبثه ، لأننى أعلم تماماً أنه
رجل لا يخدم الفن ولكنه يخدم جيبه ، ولا يرضى الذوق وإنما
يرضى خزائنه ، فهو يقيس النجاح بمقدار الدخل واستغلال العامة
وأشباههم ، ولكن كيف يميزه رقابة الروايات هذا العبث وهذا
التلفيق يفسد به الفن ويكذب به على التاريخ ويحني به على الذوق
ويضحك به على الشعب المبكين ؟ !

ثم ماذا ؟

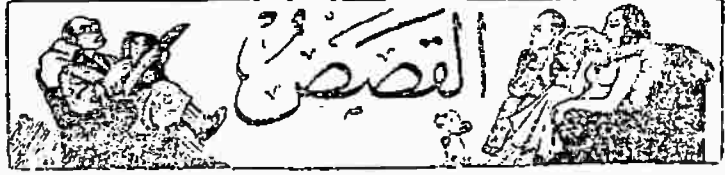
قال صاحبي : إنها لا شك مؤامرة على أم كلثوم ، قلت :
ومن الأسف أنها أفلحت .. محمد فهمي عبد اللطيف

الأشخاص والشاهد ، وينكر البيئة وما تقضى به ، ويجهل
الحوادث وما تؤدي إليه ، فإنه حينئذ لا يكون فناً ولا تاريخاً ،
ولكنه يكون المسخ والتشويه والخلط والتضليل والشعوذة التي
لا تصح في ذوق ، ولا تليق بأى صفة من صفات الفن .

ولقد قدر لي أن أشهد فلم « سلامة » الذي مثلته المطربة
المشهورة أم كلثوم ، وأخرجه السينماى المعروف توجو مزراحى .
وقصة سلامة في الأدب العربى القديم من أروع القصص ، وهى
بواقعتها جميلة غنية تعالج كثيراً من الجوانب النفسية والخلجات
العاطفية إلى جانب ما يحمل من طريف الرواية وحلاوة الغناء
وروعة الجمال ، وقد استهوت بعض الأدباء المعاصرين فعرضوا
وقائمتها في معرض الفن القصصى والرواية الطريفة وفيها ما فيها
من روعة التحليل ، فكتبها الرحوم الأستاذ محمود مصطفى في
« مجلتى » ، وجلاها المنفور له الأستاذ الراقى في « الرسالة » آية
من آياته الخالدة ، ثم حبكها صديقنا الأستاذ أحمد باكثير حبكة
قصصية نال بها الجائزة لإحدى المسابقات . فلما قيل إن أم كلثوم
مثلتها ، قلت : طاب الأصل والمثال ، والتقى سحر القديم بروعة
الحديث ، وإنها لمتعة فنية من الواجب أن أدركها . وأن أفوز بها على
أى حال .

وقصدت إلى مشاهدة الرواية وسماع أغانيها ، فليتنى ما قصدت !
لقد دخلت إليها ونفسي مفعمة بما أعثل من سحر وجمال وروعة
فن ، ثم خرجت مكروب النفس أسفاً أن يبلغ عبث التجارة
بالفن إلى هذا الحد السخيف ، وأن تصبح مشاهد التاريخ ووقائمه
ملكاً لهؤلاء الشموذين يسخرون منها ومن الناس على هواهم ،
وعلى ما تدعو إليه بواعث الكسب التجارى ، ومع هذا يأخذون
التمن الباهظ .

أول جرعة من جرائم التزوير في الرواية أن نقل « حضرة
المخرج الأرب » مكانها من المدينة ومكة بالجواز إلى الكوفة
والبصرة في العراق ، وفي هذا كذب على التاريخ ، وفيه أيضاً
جهل فاضح ، لأن قصة سلامة ما كانت تطلع إلا في أفق الحجاز ،
وما كانت حياة الترف والدعة والتماع إلا دينهم في ذلك الوقت ،
على حين كان أهل العراق في فتن عاصفة وحروب طاحنة وحياة
شديدة قاسية ، وهذه حقيقة أحسب أن « المخرج » لا يدركها ،
ولكن ماذا تكون قيمة هذا « المخرج » في العلم بصناعته إذا



أنقصه من رزقها القريب

الرسالة

للكونية هربانازر موهلى

ترجمة الأستاذ فيصل عبد الله المحامى

—•••—

شففها حباً، ثم كان بعد ذلك أن أعلننا خطبتهما . وكان مقدراً أن ترف إليه في عيد القديس ميخائيل لولا أن أصر (بوريس) على أن يرحل إلى أمريكا أولاً؛ فلقد كان يقول إن له أصدقاء سراة هناك لا يفتنون عليه بالمال إن سمعوا رغبته في زواج صالح، وهذا كما كان يقول سيمينه هو ومارتا على أن يتناحا الحقول الثلاثة التي تحيط بحقلها والطاحونة التي شاخ راعبها وشح رزقه .

وبرغم أن مارتا لم تكن لتأبه بأن تمتلك الحقول أو الطاحونة فإن (بوريس) قد أصر على دعواه تلك ولج فيها فلم تستطع مارتا بالطبع لرغبته رفضاً ...

ثم سملت العجوز وبسقت على الأرض بذوراً كانت تحفظها واسترسلت في حديثها وقد سرها أن تجد من لم يسمع بعد بما ترويه ويسمدها أن ترويه .

ثم قال لها بوريس : إنه ليستحى أن يفد على أقرانه معدماً حقير الهبة رث الثياب ، فكان أن باعت مارتا حقلين مما تملك وخمس بقرات وسواراً ذهبياً وحلياً أخرى مما كانت لأمتها وقدمت ثمن ذلك كله لبوريس الذي راح بعد ذلك ينفق منه على أقرانه في الحان وهو يمدحهم ساخراً هازناً بحديث مارتا اللبيمة الخلق الدنيئة الخلق التي صدقته في كل ما ادعاه .. ثم لبث بعد جنى البطاطس حيناً على نهجه ذاك حتى أقبل الشتاء فعاش كالسادة على ما تدره الأرض . ولما أقبل الربيع ذهب... ولم يعد ومنذ ذلك الحين قل أن تتحدث مارتا إلى أحد ... فلم يعد لها في دنياها من شيء غير العمل والأمل ، تعمل في حقلها وترعى ما لبيها وتنتظر بوريس أن يعود ... وترقب ذلك اليوم الذي فيه سيعود ولقد يكون محتملاً أن تحس مارتا بنبذة رغبة في أن تتحدث إلى أحد ، وقد يكون محتملاً أيضاً أنها قد أدركت أن من السهل أن تروى قصتها لغريب من أهل قريتها فيصدق كل ما ترويه ويأمن به وبها ، وقد يكون غير ذلك ، فلست أدري ما الذي أوحى إلى مارتا أن تستوقفني ذات يوم وقد مهدت بحقلها على فرسي فطلبت إلي أن أترجل وأدخل مشواها لأشرب قديحاً من اللبن؛ ثم راحت بعد ذلك تحق في بينيها الزرقاوين ، وقد لاح عليها أن ليسها ما تريد أن تقوله وما لا تريد أو ما لا تقوى على أن تقوله ،

لشد ما راعنى من مارتا حين لقيتها أول مرة دمامة وجهها الذي خلعت عليه أربعون عاماً شر ما كان لديها .

لقد لاح وجهها آنذاك كما لو أن مشالاً مجنوناً نحته بأزميل مثل الحد . وكانت تنوء في دنياها بأثقلها التليظ وجيدها الترهل ، ووجهها المروق الذي برزت فيه عظام خديها وبفمها الواسع المريض ... على أن عينيها كانتا على نحو آخر . فلم يكن ثمة غلوفى القول بأنهما على شيء من الحسن — لولا — ما تعبران عنه وتنطقان به من جوع ومنهم

وبرغم ذلك كان من العجيب أن لم تتزوج مارتا ، فإن فتاة من الفلاحين يتيمة من الصغر تملك حقلاً ممرعاً وثمانى بقرات سمان وزوجى خيل من الأصائل ، وكنّ دجاج واسع يندر أن تبقى بكرّاً فيريف لاتقيا القديمة ، حيث لا يكون الزواج فيها عقداً بين فتى وفتاة وإنما يكون بين حقل وحقل؛ ولكن مارتا لم تتزوج ، ولا يبدو أنها معنية بأن تتزوج . على أن عجائز القرية كان لمن — بالطبع — ما يلفظن به . فلقد كن يهمنن بحديث حب كان قبل عشرين عاماً عن فتى وسيم الطلعة من الروس جاء هذا البلد كغريب يسمى لرزقه من جنى البطاطس .

ولقد روت لي عجوز درداء منهن ذات يوم حديث مارتا والروسى ذاك ، فقالت وقد دلت لهجتها عن حقد تحفيه لمارتا ... (... لقد

كأنما هو كتلة واحدة من العظم ، ومن فيها الواسع كأنه فم سفدة
أو أوسع وأشع . وحين ينتهي من وصفه اللاذع لمارتا ومهيكه
بها يتحدث مزهواً عن فتاته الأميركية الحسنة التي تجلس إلى جانبه
وهو يكتب رسالته . هذه الفتاة التي يقول عنها إنها مشرفة
كالزهر ، منيرة كالنور ، تبتسم فتبدو كزهرة الربيع .

ثم يروي لمارتا أنه حدث فتاته بحديثها ، حذوها عن امرأة بلهاء
جئت به ووهبته كل مالها لكتاب يبلغ هذا البلد المسعيد الذي
يعج بالنساء الفاتنات .

ولقد ألحت على مارتا بعد ذلك ، تسألني في لفظة ومحرق ،
ما ذا يقول ؟ لماذا لا تقرئين ؟ ما ذا تنتظرين ؟

لقد كذبت عليها ، وماذا كان في طريقي أن أفعل ؟ رحت
أحسها ويدي ترتجف وقلبي من النيفط يتلوى ، أن بوريس يذكرها
أبدأ ولا يعلّ ذكرها ، وإنه ليذكر طول عمره ذلك الزمن الذي
قضياه معاً . ثم رحت أصف لها شدة شوقه إليها وأنه سيعود ذات
يوم حينما يفرغ صبرها وتيأس من رحمة الله ، ليفوز بها ولن
يتركها بعد ذلك العمر كله .

لقد كنت أجد الكذب شاقاً على نفسي مجهداً لها ، فلقد
أمضى الرثاء الذي أحس به لهذه البلهاء حقاً ، والاشتمزاز الذي
أفيض به لذلك الذي عبث بها وتنعم بها ثم راح يسىء إليها قدر
ما أحسنت إليه . على أنني وجدتني بعد بضع جل أثقن الكذب
وأجيدته . فرحت أجهد خيالي وأعنت ذاكرتي لتسغني بما تنى من
شعيرات رسائل الحب التي قرأت .

ثم ألتقيت بالرسالة بعد ذلك على المنضدة ، فأمسكت بها مارتا
وهي على حال شديدة من الاضطراب . كانت كهيكل من الخشب
بمشت فيه الحياة فجأة ، فلم يعد يبدو عليها ذلك العبوس ، وتلك
البشاعة . كل ذلك انقلب الآن في وجهها إلى عذوبة وإشراق
وحياة .

ثم راحت تتحدث إلى مخفوت حتى لكأنها تحدث نفسها .
كتب إلى كل ذلك ؟ كل ذلك ؟ كل هذه الألفاظ الحلوة العذبة !!
كل هذا الحب ... لي أنا ؟ ! ثم نهبت وقالت : على أنني لسوء الحظ
لا أستطيع أن أقرأ كل هذا بنفسى . لماذا لا أنتم القراءة ؟ ... أربني
بالله في أى سطر منها يؤكد شدة حبه لإي وشوقه إلى ، وابن

فلقد لاح عليها تردد بين ثم نهبت وهي تقول :

— ربما بلغك عني ما يلفظ به القوم هنا ... إن ذلك كله
هراء محض ، وحين بك ألا تصدقيه . كلا ... إنه لم يهجرني
وسيعود ... أجل سيعود .

ثم نهبت مشاقلة كأنما تحس على كاهلها عيب سنيها وانحنت على
سندوق مزركش وأخرجت منه ورقة مطوية . كانت تلك الورقة
رسالة تحمل تاريخاً قديماً واسم مدينة (بروكلين) ثم قالت وهي ممسكة
بها : لقد كتب إلى هذه الرسالة . كتبها بلغة الحب الصادق .
لقد أذاب قلبه في رسالته هذه يناجيني فيها بأعذب الألفاظ . ثم
عادت تتحدق في كأنما استقر خاطرها على رأى فجأة وقالت :
إنني أعرف بالطبع أنها رسالة غرام . ولطالما تمنيت أن أطلع
على ما فيها فأعرف كل كلمة حبيبة كتبها إلى .
وإنك لتعلمين أنني أمية لا أقرأ .

وليس في القرية من أتق به فأطلب منه أن يقرأها لي ؛ والنساء
يحقدن على لأن زين الشباب أنحى أسير حبي ؛ والرجال يمتنونني
لأنني لم أرض بأحدهم زوجاً ؛ إذ كل ما ينفونه من زواجي
لو تم ذلك لا يمدو الحقل . لذلك احتفظت برسالتى فلم يطلع عليها
أحد . على أنني غالباً ما أخرجها من الصندوق ثم أعدو بالفكر في
مجال الخيال أحاول أن أتصور ما يبر عنه من المواقف ويزدان به
من المعاني ، وإنه ليسعدني أن تقرأها أنت على إذا سمحت بذلك .
فأخذت الرسالة ، وقد كان وانحاً أن كاتبها ليس على شيء من العلم ،
ثم أخذت أقرأها لنفسى قبل أن أتلوها عليها . ولقد جلست إلى
جانبي ، كأنما تلوذني ممياً تحسه وتفيض به من تلك العاطفة
الجموح . وكانت عيناها الظامتان المترقبان لا تتحولان عني .

ولقد قرأت رسالتها مرة وثانية وثالثة ، وقد أفرغني أن
أجدني أرتعش ، وأخذني دوار حاد ، إذ لا بد أن يكون الرجل
تملا حين أنشأ هذه الرسالة ؛ فلا يمكن لمخلوق بفيرا الخمر أن يشور في نفسه
كل هذا الحقد وكل هذه القموة . مما لا يمكن تصوره في حنايا إنسان .
كان كل ما في الرسالة سخريه من هذه البلهاء الدميعة التي صدقته
في تظاهره بالحب ، ولم تمجز منشئها دقة الوصف وسعة العلم بما يزرى
بمارتا ومخزئها ، ولم يفته مظهر من دماستها يتهم به ويسخر منه .
كان يسخر من أهداب عيناها كأنما هي شمرات خنزير ، ومن جسدها

كتب يقول إنه سيعود حينما يعينى الصبر .

ولقد أريتها بعض السطور في أول الرسالة وأخرى في آخرها ..
فهزت مارتا رأسها وقالت : لو كان لى علم ذلك . حينما كرىنى المهم
وأمنى اليأس وأضناني الانفراد . لو أننى كنت أستطيع أن
أقرأ على نفسى هذه الرسالة الحبيبة كل يوم ... ثم رامت تحدق فى
كطفل يستجدى حلوى وتقول : يا سيدتنا أخبرينى . هل
يستطيع من فى سنى أن يعلم القراءة ؟ ...

ولقد راعنى قولها هذا حقاً . على أننى قلت لها : إن هذا
لغاية فى الصعوبة . ولكن ما الذى يدفعك إلى هذا وأنت تعلمين
الآن ما كتب إليك ؟ فقالت : هذا صحيح . ومع ذلك فإننى أحس
رغبة ملحة فى أن أقرأ الرسالة بنفسى لكى أتملى بكل حرف
منها ... على أى حال لا بد أن أكلم معلم القرية فى ذلك .
ثم غلبها الصمت فراحت تلم . وقد فاضت عينها بالدمع غبطة .
واستسلمت لأمانها وأحلامها ، فلم تظن إلى وأنا أنسل من
جانها فرعة كأننا ارتكبت إثماً .

منذ ذلك اليوم حرمت على ألا أمر بمحفل مارتا كلما استطيت
جوادى خيفة أن تبصر فى فتطلب إلى أن أقرأ الرسالة مرة أخرى
فأتلوها على غير ما تلونها أول مرة ، فيبعث هذا فى نفسها الشك .
على لئنى عرفت مما تثرثر به بمجائز القرية أن مارتا تقصد المدرسة
مساء كل يوم فتتمكث فيها ساعة أو تزيد ، تتلقى على مدرسيها دروساً فى
القراءة . ولشد ما كان نساء القرية يضحكن وهن يلفظن بمحدث مارتا
ويقطن لنها تعلم القراءة ... تعلم القراءة فى سنها هذه ! ترى أكان هذا
لأنها ستصبح عما قريب سيدة ؟ لقد ابتاعت كتاباً للأطفال ولأنها
لتجلس على مقعد أمام بيتها كل يوم ممسكة به وهى تردد حروفاً
سنة : ألف - باء - جيم - قاف - طاء - هاء - قظه ..
وإن الناس لا يقوون على كظم ضحكهم مما يرون ، ثم يستمرسلن فى
ضحكن ساخرات . أما أنا فقد وجدت فى الأمر غير ما وجدته .
لقد كان فيه ما يبعث على البكاء رثاء لها وفرحاً مما ينتظرها .

ولقد خرجت أنزله ذات يوم فضلت سبيل . ثم ألتفتنى بعد
حين فى غاب خلف حقل مارتا . وكان الوقت خريفاً والهواء البارد
يهب من البحر قارساً ، فالذت بالأشجار محتمية بها ، ثم رست
أزحف بين أفنانها ، فبلغ أذنى بفتة صوت أجش قوى النبرات
ردد ألفاظاً بحد وقوة : بيت - حقل - كلب - بقرة .. وما

شا كل هذه الكلمات البسيطة الرقيقة التى كانت رغم ذلك تمهد
السبيل الذى سيقود مارتا ذات يوم من النعم إلى الجحيم .

وكان الصوت لا يزال يردد ... حقل ... الله ...
الله ! أجل ... إنه هو وحده القادر على أن يبعث إلى مارتا
يكسف من السماء يودى بها قبل أن تجد نفسها قادرة على أن تقرأ
الرسالة ... الرسالة التى تفيض بالحد والمقت والمخربة ... الرسالة
القائلة ... إنه القادر على أن يرحمها فيعنى عينها الظالمتين المترقبين
قبل أن تستليما قراءة حرف .

وكانت ليلة ... أرخت فيها يد الخريف سدول الوحشة والكتابة
على الكون ودوت فيها المواصف القاصفة بالسهول ... وهدير
البحر يتعالى مضطرباً صاخباً ، والأشجار العارية تمد أيديها كأنها
تسأل النجدة أو تستنثى مما ترى وتسمع ... وأوراق الشجر تتناثر
على الأرض فتلوح مما علاها كبساط مزركش زاه ... ثم أرسلت
السماء بسحب ذلك ثلجاً أبيض ناصعاً رقيقاً ، فكسا كل
شئ رداءً أبيض يشف عن طهر وروعة ، مبدلاً بؤس الخريف
وعبوسه دنيا بيضاء ... ناصعة البياض ، وكان هذا قبل عيد
الميلاد بيومين ... حين تلجأ الساهرات إلى مثواهن يحشين
الأشباح التى تطوف فى الكون كلما حان هذا الحين ... وعلى حين
فجأة تبدى الكون الأبيض فى وشاح قرمزي اللون يضطرب
ويلهب ، فلقد اندلعت نيران ، نيران هائلة ، أضاءت من تظلماتها
الغاية التى كانت تجاورها . ولقد أهرع رجال القرية وعمال المقاطعات
الأخرى ليطفئوا النار ... ينير لهم السبل وهجها الأحمر . ولما
بلغ القوم بيت مارتا القوا حقلها يشتعل ، والريح الشمالية تقذف
بألسنة ناره إلى كل جهة . وكانت الأبقار تحور فرعاً فيملاً
خوارها الأرجاء ؛ والخيول مسها خبل فأخذت تقمص حتى
وجدت غرجاً فاندفت منه إلى السهل الأبيض كأنها أشباح تطوف .
وأمام البيت الملهب كانت تقف امرأة ... كان شعرها الأغبر
الأشعث المنفوش يحيط بوجه كالخ وعينين متحجرتين ... وكانت
تفهقه ضاحكة ... فتعلو قهقهتها على خوار البقر وفرقة الخشب
المحترق ، ولقد لبثت حيناً بعد ذلك وهى تشهد كل ما حولها وتفقهه .
لقد قرأت مارتا الرسالة أخيراً ...

فيصل عبر الله الهامى

القدس